الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة الجيلالي بونعامة – بخميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية – شعبة التاريخ

بلاد شنقيط ودورها الثقافي في الصحراء الكبرى وجنوبها ما بين القرنين الخامس و الرابع عشر الهجريين (11 -20م)

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر
تخصص : دراسات إفريقية

إعـداد الطالبة:
سارة عزيزي

إشراف الأستاذ:
د. نور الدين شعباني

السنة الجامعية: 1437/1436هـ الموافق لـ2016/2015م

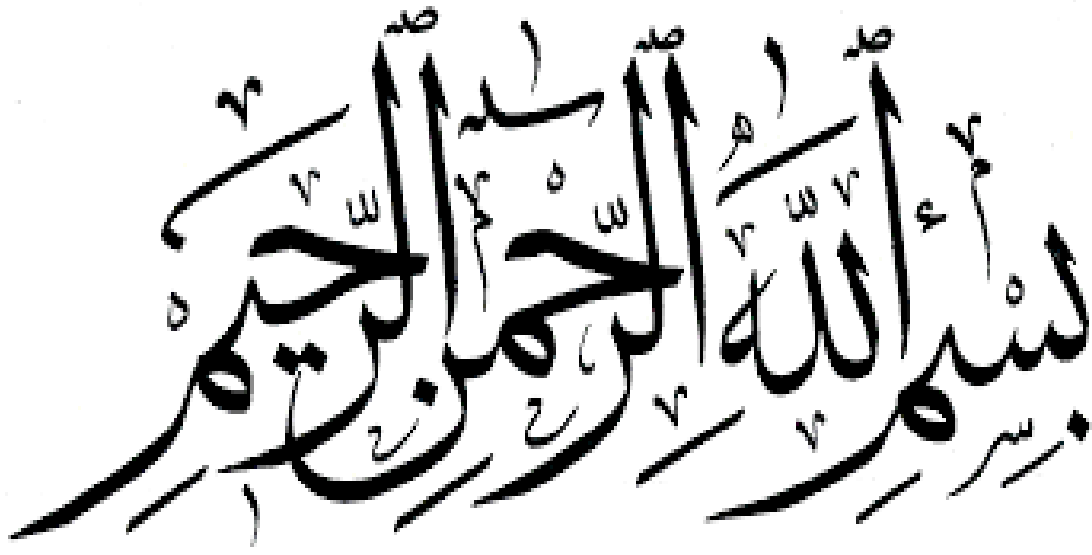
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أمي الغالية

إلى أبي العزيز

إلى أخواتي و إخوتي

أهدي ثمرة جهدي

شكروعرفان

الحمد و الشكر لله قبل كل شيء على إعانته لي و توفيقي في إنجاز هذا البحث .

أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الدكتورنور الدين شعباني الذي ساندنا إلى غاية إنجاز هذا البحث و كان لنا نعم المرشد و الناصح والموجه طوال مسارنا في هذا التخصص ، فله مني خالص الشكر و التقدير .

كما أتقدم بشكري إلى الأستاذ عبد الرحمان تونسي الذي لطالما كان لنا عونا و لم يبخل علينا بتقديم المساعدة و في جميع الظروف ، والأستاذ أحمد بن يغزر و الأستاذ صرصاق على توجيهاتهم المنهجية لنا التي كانت سندا ودعما لنا في إنجاز هذا البحث ، كما لا أنسى الأستاذ محفوظ بن حجر الذي ساعدنا هو الآخر في إعداد هذه المذكرة .

و لا يفوتني تقديم شكري إلى الدكتور أحمد مولود ولد أيده الهلال مدير المركز الجامعي للدراسات الصحراوية بأطار الموريتانيةالذي ساعدني كثيرا في إنجاز هذا العمل و لم يبخل علي بوقته .

فإلى هؤلاء جميعا و كل من ساعدني من قريب أو بعيد خالص شكري وامتناني .

مقدمة

مقدمة :

لقد كان لظهور المراكز الثقافية ببلاد المغرب عقب الفتح الإسلامي كالقيروان والزيتونة و فاس و تلمسان وغيرها ، أن أصبحت تمثل مصدر إشعاع ثقافي وحضاري بكامل المنطقة و منهل الكثيرين ، و أخذت هذه الثقافة تتسرب إلى المناطق المجاورة فبلغت الصحراء الكبرى أين لعب تجار القوافل القادمين إليها من تلك البلاد الدور الكبير في ذلك ، فكانوا يحملون إلى جانب بضائعهم رسالة الإسلام و الثقافة العربية .

و لعل أهم جزء من تلك الصحراء الكبرى و الذي حظي بنصيب أوفر من المؤثرات العربية الإسلامية كان جانبها الغربي أو منطقة غرب الصحراء ، و التي عرفت عبر تاريخها بعدة تسميات من أشهرها " بلاد شنقيط " ، هذه التسمية التي ارتبط ذكرها بكل ما هو ثقافي، إذ بعدما نهلت هذه الأخيرة من معين الثقافة العربية الإسلامية ، أصبحت هي الحاملة لهذه الثقافة في فترة من فتراتها ، و الناقلة لها إلى مختلف مناطق الصحراء الكبرى وفي منطقة غرب إفريقيا و ذلك على مر القرون ، و سيصبح صيتها ذائعا في جميع بلاد المغرب و المشرق ، و خاصة ما بين القرنين الحادي عشر و الثالث عشر الهجريين (17 و 19 م) و هي الفترة التي عرفت فيها بلاد شنقيط ازدهارها الثقافي .

و نظرا لكون هذه البلاد كانت منطلقا لدعوة المرابطين وقيام دولتهم من بعد منذ منتصف القرن الخامس الهجري (11 م) ، و التي سيكون لها أثر كبير في مصير الإسلام بالصحراء الكبرى ككل و منطقة غرب إفريقيا ، ارتأينا أن تكون فترة بداية الدراسة للموضوع من القرن الخامس الهجري (11 م) إلى غاية القرن الثالث عشر الهجري ومطلع القرن الرابع عشر(20 م) تاريخ بداية اضمحلال الدور الثقافي لبلاد شنقيط مع نكبة الإستعمار الفرنسي للمنطقة ، و عليه جاء عنوان البحث كما يلي : «**بلاد شنقيط و دورها الثقافي في الصحراء الكبرى و جنوبها (غرب إفريقيا) ما بين القرنين الخامس و الرابع عشر الهجريين /11و20 الميلاديين**».

أسباب اختار الموضوع :

لقد كنت مدفوعة بجملة من الأسباب لاختيار هذا الموضوع وهي :

* لعل أول هذه الاسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع هو الظاهرة التعليمية الفريدة من نوعها في العالم و هي المحاضر التي عرفتها منطقة الصحراء ، و التي كانت من أهم أسباب شهرة بلاد شنقيط حيث كانت مهدا لهذه المحاضر .

* الدور الكبير الذي أدته بلاد شنقيط في الميدان الثقافي خاصة ما بين القرنين الحادي عشر و الثالث عشر الهجريين الموافق للقرنين 17و 19 الميلاديين .

* التعريف بهذه البلاد التي رغم ما كانت و ما تزال تؤديه من أدوار حضارية هامة في المنطقة ، إلا أن الكثير يجهلها و يجهل التسمية نفسها و أصبحت نكرة خاصة بعد الإحتلال الفرنسي لها و الذي عمل على القضاء على مقوماتها الثقافية بالمنطقة و ما كانت تقوم به من أدوار ولم تسلم من ذلك حتى تسميتها التي حولها من بلاد شنقيط إلى موريتانيا .

* قلة الدراسات الأكاديمية حول الموضوع في الوطن العربي و جل ما كتب حول بلاد شنقيط كان محاولات بسيطة و من أبناء المنطقة نفسها .

إشكالية البحث :

إن الاشكالية التي دار حولها موضوع البحث هي إلى أي مدى ساهمت بلاد شنقيط في التواصل الثقافي في منطقة الصحراء الكبرى و غرب إفريقيا ؟

و قد اتبعت في بحثي هذا منهج تاريخي يقوم على وصف الأحداث التاريخية والإستنتاج في بعض الأحيان ، و عمدت على تقسيم الموضوع إلى مقدمة و أربعة فصول و خاتمة .

فأما الفصل الأول و الذي كان بمثابة فصل تمهيدي للموضوع عمدت في إلى التعريف ببلاد شنقيط ، فتطرقت فيه إلى التسميات التي عرفت بها المنطقة موضوع الدراسة، و إلى الخصائص الطبيعية و البشرية للبلاد .

و أما الفصل الثاني فتحدثت فيه عن انتشار الإسلام ببلاد شنقيط منذ الفتوحات الإسلامية و إلى غاية شيوع الطرق الصوفية بها ، و تطرقت كذلك إلى انتشار اللغة العربية بالبلاد خاصة مع نزوح قبائل المعقل العربية إليها .

و بخصوص الفصل الثالث فقد جاء بعنوان دور بلاد شنقيط وخصصته بالحديث عن النظام التعليمي (المحاضر) ، فتطرقت فيه إلى التعريف بالمحاضر و نشأتها ، و إلى نظام التدريس في المحاضر ، وأخيرا إلى منهاج التدريس في المحضرة .

و في الفصل الرابع و الأخير الذي عنونته بدور بلاد شنقيط في نشر الثقافة العربية الإسلامية في الصحراء الكبرى و جنوبها ، فقد تحدثت فيه عن دور بلاد شنقيط في نشر الإسلام في إفريقيا الغربية ، و عن دورها في المذهب المالكي ، و أخيرا إلى دورها في حركة التأليف .

و لإنجاز هذا البحث إعتمدت على مجموعة من المصادر و المراجع ، أهمها كتاب "**الوسيط في تراجم أدباء شنقيط**" لأحمد بن الأمين الشنقيطي ، و الذي يعد من أهم المصادر التي تتحدث عن بلاد شنقيط و تسلط الضوء على علمائها .

كما اعتمدت على عدة مصادر وسيطة أفادتني في حديثي عن دخول الإسلام إلى بلاد شنقيط ، و عن قيام حركة المرابطين و أهمها كتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب**"للبكري ، و كتاب "**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس**"لابن أبي زرع ، و كتاب "**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**"لابن خلدون ، الذي أفادني أيضا في الحديث عن قبائل المعقل العربية و الذي يعتبر أهم مصدر يتحدث عن هذه القبائل إذ تزامنت حياته مع فترة قدوم تلك القبائل إلى شمال إفريقيا و منه إلى غرب الصحراء .

و اعتمدت على مجموعة من المراجع من أهمها كتاب **حياة موريتانيا** " **الحياة الثقافية**" للمختار بن حامد ، الذي خصصه للحديث عن الجانب الثقافي في البلاد ، و قد أفادني هذا الكتاب كثيرا في بحثي . بالإضافة إلى كتاب"**بلاد شنقيط المنارة و الرباط** "

لمؤلفه الخليل النحوي الذي يركز في كتابه على الجانب الثقافي في بلاد شنقيط من خلال نظام المحاضر التي عرفت به البلاد، و الذي أفادني أيضا في الكثير من الأحيان في انجاز هذا البحث .

و هناك كتاب "**الحركة الفكرية في بلاد شنقيط**" لعبد الودود ولد عبد الله (ددو) الذي يركز على الحركة الفكرية بالبلاد وخاصة خلال القرنين الحادي عشر و الثاني عشر الهجريين / 17 و 18 الميلاديين فكان هذا الكتاب أيضا مفيدا لي في دراستي .

و كتاب "**صحراء الملثمين**" للناني ولد الحسين و لو أن الفترة التي يغطيها لا تتجاوز القرن الخامس الهجري (11 م) ، إلا أنه أفادني كثيرا في الحديث عن انتشار الإسلام بالمنطقة و دورها في نقله إلى المناطق المجاورة خاصة غرب إفريقيا حتى عهد المرابطين.بالإضافة إلى مصادر و مراجع أخرى لا تقل أهمية في الموضوع .

الفصل الأول

التعريف ببلاد شنقيط

أولا : بلاد شنقيط و الأسماء التي عرفت بها

ثانيا : الخصائص الطبيعية

ثالثا : الخصائص البشرية

أولا : بلاد شنقيط والأسماء التي عرفت بها:

لقد أطلق على المنطقة المعنية بالدراسة عبر تاريخها العديد من الأسماء ، وما بلاد شنقيط إلا أحد هذه الأسماء.

وشنقيط هي مدينة من مدن آدرار[1] ، واقعة على جبل في جهة غرب الصحراء الكبرى[2] ، وقد اختلف في تحديد تاريخ تأسيسها ، إلا أن جل الباحثين يرجع تأسيسها إلى سنة 660 ه / 61-1262 م ، مع اعتماد البعض منهم لتواريخ أخرى مثل 620 ه / 1224 م ، أو في القرن 9 ه / 15 م [3] ، وتعد هذه المدينة امتدادا حضاريا وبشريا لمدينة قديمة هي " آبير " أو بلاد الأهير، والتي يرجع تأسيسها إلى سنة 160 ه / 777 م ، إذ أن المجموعة السكانية التي كانت تعمر هذه الأخيرة هي نفسها التي أسست المدينة الجديدة (شنقيط)[4] .

وقد ورد أول ذكر لشنقيط في مطلع القرن العاشر الهجري / 16 م ضمن حوليات البرتغاليين التي وصفتها بأنها قرية صغيرة [5]. ويعد عبد الرحمن السعدي أول المصادر المكتوبة باللغة العربية التي ذكرت اسم شنقيط [6] ، حين قال: **"...أما اكل سلطان توارق فقد**

1- آدرار كلمة بربرية وتعني الجبل ، البكري : **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** . مكتبة المثنى ببغداد ، د.ت ، د.ط ، ص ص 163 ،164 ، وتطلق على مجموعة من المناطق الجبلية في الصحراء منها : آدرار عاصمة توات على بعد 650 كم جنوب شرق بشار . وكذلك آدرار ايفوغاس ، وهو كتلة جبلية تقع بالصحراء الجنوبية (السودان الغربي) وتعد امتدادا لإقليم الهكار ، كما تطلق على آدرار موريتانيا الحالية ويسمى " آدرار التمر" ، أحمد مولود ولد أيده : **الصحراء الكبرى مدن وقصور** . دار المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، ج1 ، ص109 .

2- أحمد بن الأمين الشنقيطي : **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط** . المطبعة الجمالية بمصر ، ط1 ، 1329 ، ص410 .

3- أحمد مولود ولد أيده : المرجع السابق ، ص138 .

4- عبد الودود ولد عبد الله(ددو) **: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن الثاني عشر(18م)** دار أبي رقراق ، الرباط ، 2015 ، ص32 .

5- أحمد مولود ولد أيده : المرجع السابق ، ص138 .

6- المرجع نفسه ، ص139 .

بقي في أيام سلطنته على حالهم القديمة ... وفوض أمر البلد على تنبكت كي محمد نض وهو صنهاجي من قبيلة اجر أصله شنجيط [1] وهو أصل جميع هذه القبيلة ..." [2].

وأما بلاد شنقيط ، فهي التسمية التي أطلقها أهل المشرق على هذا الجزء من الصحراء الكبرى[3] ، لما اشتهرت به مدينة شنقيط من مكانة هامة في النشاط الديني و الثقافي ، و قد أخذت شنقيط في الإزدهار بداية من القرن 11 ه / 17 م ، وبلغت أوجه خلال القرنين 12 و13 الهجريين/ 18 و 19 م ، و هي الفترة التي منحت فيها شنقيط اسمها للبلد كله [4] ، و بدأ هذا الإسم يتجسد أكثر عندما أصبحت قوافل الحجيج المنطلقة منها كل سنة تعرف بركب بلاد شنقيط ، كما برز عدد من فقهائها ببلاد المشرق والمغرب الإسلاميين ، حيث كانوا يدرّسون بمراكز الثقافة العربية الإسلامية المشهورة آنذاك كالزيتونة والأزهر خلال القرنين 12 و13 الهجريين ، و هو ما أسهم في منحها هذه الشهرة بحكم أن هؤلاء الفقهاء عرفوا في تلك الجامعات بالشناقطة [5] ، و هو ما دعا جميع المهاجرين من أهل هذه البلاد أيا كانت مواطن قبائلهم ومساقط رؤوسهم إلى الإنتساب إلى بلاد شنقيط [6] . ونتيجة لذلك احتلت شنقيط في ذاكرة الشعوب الإسلامية مكانة مبالغا فيها ، مقارنة بمدن بلاد الصحراء الأخرى ، حتى اعتبرها البعض سابع مدينة في الإسلام [7] .

و قد عُرفت بلاد شنقيط بعدة أسماء نذكر منها :

1- شنجيط : وهو الإسم الأصلي قبل أن يتحول نطق الجيم إلى قاف لتصبح شنقيط . أحمد بن الأمين الشنقيطي : المصدر السابق ، ص 422 .

2- عبد الرحمن السعدي : **تاريخ السودان** . طبعه السيد هوداس ، باريس ، 1981 ، ص22 .

3- المختار ولد حامد : **حياة موريتانيا "الجغرافيا"** . دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1414 ه/ 1914 م ، ص9 .

4- أحمد مولود ولد أيده : المرجع السابق ، ص139.

5- المرجع نفسه ، ص230 .

6- المختار ولد حامد : **" الجغرافيا "** : المرجع السابق ، ص9 .

7- أحمد مولود ولد أيده : المرجع السابق ، ص ص 230 ، 231 .

1 ـ صحراء الملثمين :

عُرفت المنطقة خلال العصر الوسيط باسم صحراء الملثمين[1] ، وذلك نسبة إلى الصنهاجيين المقيمين بالصحراء ، الذين كانوا أهل لثام (يضعون اللثام على وجوههم) فنسبت إليهم الأرض [2] ، وقد تداول المؤلفون العرب هذه التسمية خلال تلك الفترة نظرا لسيطرة الملثمين اقتصاديا وسياسيا على الصحراء ، فأصبحت مناطق نفوذهم تنسب إليهم [3] ، و كمثال على ذلك ابن خلدون حين قال : **" كان هؤلاء الملثمون في صحاريهم ..."** [4] .

2 ـ بلاد التكرور :

هو الإسم الذي كان يطلقه مؤرخو تنبكتو على منطقة غرب افريقيا المعتنقة للإسلام ، وقد عُرفت به بلاد شنقيط في مرحلة سابقة [5] ، واعتمد البرتلي (1219 ه / 1804 م) هذه هذه التسمية في مؤلفه (فتح الشكور) ، وقال في تعيين المنطقة : **" التكرور إقليم واسع ممتد شرقا إلى ادغاغ ومغربا إلى بحر بني الزناقية وجنوبا إلى بيط وشمالا ألى ادرار"** [6] . والتكرور في الأصل هو إسم لمدينة و إمارة صغيرة تقع في أقصى الشمال الغربي لبلاد السودان غير بعيدة عن مصب نهر السينغال ، حيث مضارب كدالة [7] ، ثم اتسع مدلول هذا الإسم وأصبح يشمل كل إفريقيا السودانية المسلمة [8] .

1- الناني ولد الحسين : **صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب افريقيا من منتصف القرن 2ه / 8م إلى نهاية القرن 5ه / 11م** . تقديم : محمد حجي ، 1421ه / 2000 ، ص2 .

2- الخليل النحوي : **بلاد شنقيط المنارة والرباط** . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، 1987 ، ص18.

3- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص 2 .

4- عبد الرحمن بن خلدون :**كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر** ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 1421ه / 2000 م ، ج6، ص242 .

5- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص19 .

6- البرتلي : **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور** . تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1401ه / 1981م ،ص26 .

7- عبد الودود ولد عبد الله (ددو) : المرجع السابق ، ص33 .

8- المرجع نفسه ، ص34 .

3 ـ بلاد المغافرة :

لم تشتهر البلاد بهذا الإسم وإنما نعتها به البعض من مؤلفيها مثل سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم ومحمد فال بن بابا [1] .

والمغافرة هم ذرية مغفر بن أودي بن حسان بن عاقل بن معقل ، الجد الجامع لقبائل معقل العربية ، والذين جاؤوا مع الهجرة الهلالية وانزاحوا نحو المغرب فالصحراء منذ القرن الثامن الهجري (14 م)[2] ، وكانوا أقوى المجموعات العربية شوكة وأنفذها سلطة ، ، فتمكنوا من بسط سيطرتهم على المنطقة سنة 1040هـ / 1630م ، وهذا ما يبرر نسبة البلاد إليهم دون غيرهم من العرب [3] .

4 ـ تراب البيضان :

لقد أطلق على البلاد أيضا إسم " تراب البيضان " أي أرض السكان البيض تمييزا لها عن البلاد المجاورة وهي بلاد السودان ، وهذا الإسم كان معروفا بين السكان أنفسهم [4] من قبائل صنهاجة ؛ ومنذ القرن الحادي عشر الهجري/17 م أصبح علما على المجموعات الصحراوية التي تتحدث اللهجة الحسانية والتي تعود أصولها لاندماج الكتلة الصنهاجية والمجموعات العربية الحسانية وغير الحسانية [5] .

5 ـ موريتانيا :

أطلقت هذه التسمية على بلاد شنقيط من طرف المستعمر الفرنسي باقتراح من أول حاكم فرنسي لبلاد شنقيط (كابولاني Coppolani) ، فأصبح يطلق اسم " موريتانيا

1- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص21 .
2- موسى كمرا : **تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى** . تحقيق : حماه الله ولد السالم ، دار الكتب ، العلمية ، بيروت ، 2009 ، ط1 ، ص 100 .
3- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص ص 21 ، 22 .
4- المختار ولد حامد : **" الجغرافيا "** : المرجع السابق ، ص10 .
5- موسى كمرا : المصدر السابق ، ص73 .

الغربية" (La mauritanie occidentale) على الرقعة الممتدة بين خاي (كذا)[1] وتنبكتو شرقا، والمحيط الأطلسي غربا ، ونهر السينغال جنوبا ، وجنوب المغرب والجزائر شمالا [2] .

وموريتانيا اسم مركب من كلمتي مور (maure) وتعني : بربر الصحراء ، و تاني (Tanie) و تعني : بلاد أو أرض ، و تعني أيضا " بلاد السمر " ، وقد كان يطلق هذا الإسم قديما على الممالك الرومانية الواقعة في شمال غرب إفريقيا ، والتي كانت تضم الجزء الغربي من الجزائر والمغرب الأقصى ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام : موريطانيا السطيفية و موريتانيا القيصرية و موريتانيا الطنجية [3] .

ويبدو أن تسميات أخرى مثل " المغرب " و " المغرب الأقصى " و " أقصى الغرب " كانت لها في الغالب دلالة نسبية ، فقد كانت تطلق من طرف مؤلفي مدينة تنبكتو[4] على إقليم شنقيط ، وذلك لوجود هؤلاء المؤلفين في التخوم الجنوبية الشرقية القصوى لهذا الإقليم ؛ و حتى مؤلفو أزواد [5] و مؤلفو ولاتة [6] أطلقوا هم أيضا هذه التسمية على منطقة " القِبلة " في الجنوب الغربي لبلاد شنقيط [7] .

1- ربما يقصد بها جاو.
2- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص24 .
3- المرجع نفسه ، ص25 .
4- تنبكتو : تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى على منحنى نهر النيجر ويعود تأسيسها إلى قبائل الطوارق في حوالى عام 948 ه / 1087م . محمد الصالح حوتية : **توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي)**. دار الكتاب العربي ، الجزائر، 2007 ، ج1 ، ص40 .
5- أزواد : تشمل المناطق الواقعة إلى الجنوب وراء الحدود الجزائرية فيما يعرف اليوم بدولة مالي ويحدها شمالا صحراء تنزروفت والتي تنتهي عندها جنوبا منطقة توات . محمد الصالح حوتية : المرجع السابق ، ص ص 38 ، 39 .
6 - مدينة عريقة لا تزال حية ، يحتمل أنها تأسست في القرن الأول الهجري ، و كانت محطة من محطات القوافل التجارية ، أصبحت حاضرة للثقافة العربية الإسلامية خاصة بعد تراجع دور تنبكتو الثقافي في المنطقة ، الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص ص 68 ، 69 .
7- عبد الودود ولد عبد الله (ددو) : المرجع السابق ، ص 37 .

و من الأسماء التي وصفت بها هذه البلاد أيضا " بلاد السيبة " أو " البلاد السائبة " وهو الإسم الذي كان يشير به الفقهاء غالبا إلى هذه المنطقة [1] .

1- عبد الودود ولد عبد الله (ددو) : المرجع السابق ، ص37 .

ثانيا: الخصائص الطبيعية لبلاد شنقيط :

1- الموقع وأهميته :

لقد اختلفت المصادر في وضع حدود ثابتة لبلاد شنقيط ، إذ أننا نجد تباينا بخصوص هذا الموضوع من مصدر لآخر.

وهكذا ، عين أحمد بن الأمين الشنقيطي حدود بلاد شنقيط بقوله : **" ويحد هذا القطر شمالا الساقية الحمراء ، وهي تابعة له ، وجنوبا قاع ابن الهيب وهو تابع له أيضا ، وشرقا ولات والنعم ، وهما تابعتان له أيضا ، وغربا بلاد سنكال أو سنغال ... وهي خارجة عنه ... "** [1] .

فأما قاع بن الهيب فهو فوق مصب الوادي الأبيض أو " كركل " في نهر السينغال ، وأما ولات والنعم ، فيقصد بها أزواد (في مالي حاليا) ، وأما بلاد السنغال فيقصد بها بلاد السينغال (و خاصة منطقة مصب نهر السنغال عند سان لويس في السينغال)[2] .

في حين يعتبر الضابط والإداري الفرنسي (فوازان Vosin)– نقلا عن عبد الودود ولد عبد الله (ددو) ، أن الحد الشمالي لبلاد شنقيط هو أقل حدودها من حيث وضوح المعالم ، ويشكل – حسب رأيه – خطا يمر بتندوف وآدرار و توات ثم يلتقي بالحد الشرقي في منطقة تنزروفت ، ومن تنزروفت يمتد الحد الشرقي لبلاد شنقيط إلى غاية منطقة آدرار ايفوغاس ، بدون دخول الغابة ؛ أما الحد الجنوبي فتشكله الضفة اليسرى لثنية النيجر ابتداء من منطقة " غاو " [3] و" غندام " [4] وصولا إلى نهر السينغال عبر " النعمة "[5] و "نيورو"[6]

1- أحمد بن الأمين الشنقيطي : المرجع السابق ، ص422 .
2- المختار ولد حامد : المرجع السابق ، ص9 .
3- غاو : مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر عند منعطفه ، و كانت خلال العصور الوسطى عاصمة امبراطورية واسعة هي امبراطورية سنغاي . و هي تابعة اليوم الى جمهورية مالي.
4- غندام : تقع ضمن حدود جمهورية مالي حاليا ، عبد الودود ولد عبد الله (ددو) : المرجع السابق ، ص40 .
5- النعمة : ضمن حدود الجمهورية الموريتانية الإسلامية حاليا ، عبد الودود ولد عبد : المرجع السابق، ص40 .
6- نيورو : ضمن حدود جمهورية مالي حاليا ، عبد الودود ولد عبد الله : المرجع السابق ، ص 40 .

ثم تحاذي الحدودُ الضفة الشمالية لنهر السنغال متجهة إلى مصب النهر في المحيط الأطلسي[1] .

وحسب المختار ولد حامد ، فإن حدود البلاد هي أوسع من حدود جمهورية موريتانيا الحالية ، إذ تشمل بالإضافة إلى موريتانيا مناطق أخرى مجاورة تربطها بها وحدة اللغة والعادات والتقاليد والنسب والتاريخ ، وهذه المناطق هي :

- منطقة الصحراء الغربية .
- المنطقة الواقعة في جنوب غربي الجزائر .
- منطقة في غرب وشمال جمهورية مالي [2] .

وعلى العموم ، فإن بلاد شنقيط هي ذلك الجزء الغربي من الصحراء الكبرى ، الذي يفصل إفريقيا الشمالية عن غرب إفريقيا [3] .(أنظر الملحق رقم 1)

وبحكم موقعها ، كانت بلاد شنقيط تمثل الجسر الرابط ما بين المغرب و بلاد السودان الغربي و الذي كان لا بد للقوافل التجارية من عبوره ، و قد حفظ التاريخ لنا مسارات الطرق الرئيسية التي كانت تسلكها تلك القوافل المحملة بالتجارة و الحاملة لرسالة التوحيد للشعوب الوثنية في آن واحد ، و كانت هناك ثلاث طرق رئيسية تسلك من طرف تلك القوافل ، فالأول هو الطـريق الذي يبـــدأ من سجلمــاسة و يمـــر بمواقع وادان[4] ، فشنقيط

1- عبد الودود ولد عبد الله (ددو) : المرجع السابق ، ص ص 39 ، 40 .
2- المختار ولد حامد : **" الجغرافيا "** المرجع السابق ، ص8 .
3- المرجع نفسه ، ص8 .
4- مدينة أثرية تقع على بعد 100 كلم إلى الشمال الشرقي من مدينة شنقيط ، تأسست سنة 436 ه / 1142م على يد عدد من العلماء الذين حجوا بيت الله الحرام وتلقوا العلم خارج بلادهم ، وبعد عودتهم من الحج هجروا قراهم و أسسوا المدينة ويفسر الطالب أحمد بن طوير الجنة الحاجي الواداني أنها : " واديان ملىء أحدهما علما و دينا و ملىء الآخر نخلا و تمرا" ، الخليل النحوي : المرجع السابق ،

وينتهي إلى أودغست [1]، أما الثاني فيبدأ من توات [2](في آدرار بالجزائر) و يمر بتنبكتو مرورا بتغازة و تاودني و ولاتة ، و أما الطريق الثالث و هو الطريق الساحلي فيبدأ من ماسة و وادي نون و ينتهي عند سان لويس بالسينغال مرورا بمنازل لمتونة و جدالة [3] .

ولم تكن هذه الطرق تخلو من صعوبات طبيعية كتحرك الرمال الذي يمحو معالمها ، وكذا تعرض القوافل المارة بتلك الصحاري إلى العديد من المخاطر ، فكان لابد من وجود أدلاء لتلك القوافل في تلك الصحاري كي تصل إلى بر أمانها ، فما كان من الملثمين إلا أن قاموا بهذا الدور[4] ، إذ يذكر إبن بطوطة أن قبيلة مسوفة الساكنين بايوالاتن (ولاتة) هم أحسن من كان يقوم بدور الأدلاء [5].

ونشطت حركة التجارة بين إفريقيا الغربية وبلاد المغرب والأندلس بفضل الدور الريادي الذي قامت به قبائل لمتونة ومسوفة وجدالة ، التي كونت حلقة اتصال بين الأطراف المشاركة [6] ، وكان لرواج التجارة العابرة للصحراء علاقة وثيقة بازدهار الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة ؛ وقد مكنت عوائد هذه التجارة من ظهور عدة مدن مزدهرة تعيش فيها طبقة من العلماء والمتعلمين ذات ثراء ونفوذ كبيرين [7] .

1- مدينة تقع أطلالها شمال شرقي حاضرة تامشكط في ولاية الحوض الغربي من جنوب شرقي موريتانيا، ازدهرت منذ القرن 2 ه / 8 م كمحطة للقوافل التجارية ، و سكنتها جاليات من بربر نفوسة وجربة (بتونس) و وارجلان (ورقلة بالجزائر) ، وخضعت لغانة ثم لصنهاجة ثم عادت إلى سلطان غانة إلى أن فتحها المرابطون في أواسط القرن 5 ه / 11 م ، موسى كمرا : المصدر السابق ، ص23 .

2- توات إقليم يشمل مجموعة من واحات الصحراء الجزائري الجنوبية الغربية يمثل إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبي وبلاد السودان ، يحدها شمالا العرق الغربي و هضبة تادمايت و من الجنوب هضبة مويدير ، و يشكل واد الساورة الطريق التجاري للإقليم ، وينقسم هذا الإقليم إلى ثلاث مناطق متميزة هي : تنجورارين و توات و تيدكلت ، محمد الصالح حوتية : المرجع السابق ، ص 28 .

3- عبد الله ولد بن احميدة : **الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط . مبحث في النشأة و الأصول**.تقديم : أحمد ولد حبيب الله ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 1377 ه / 2009 م ، ص28 .

4- محمد علي الصلابي : **فقه التمكين عند دولة المرابطين** . مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة ، 2006 ، ط1 ، ص12 .

5- ابن بطوطة : **تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار** . المطبعة الخيرية بمصر ، 1322 ه ، ط 1 ، ص ص 231 ، 232 .

6- محمد علي الصلابي : المرجع السابق ، ص12 .

7- عبد الودود ولد عبد الله (ددو) : المرجع السابق ، ص 79 .

وكثرت الأسواق التي تعرض فيها بضائع الأندلس والمغرب الأقصى وبلاد السودان الغربي [1] ، وقد كانت الكتب تمثل إحدى أهم سلع التجارة الصحراوية ، وتدر أرباحا تفوق سائر أرباح السلع الأخرى . وقد كان لتجارة القوافل في هذه البلاد دور في التواصل الثقافي وربط هذا الجزء من الصحراء ببلاد المغرب والمشرق بحكم وجوده في ملتقى طرق قوافل التجارة الصحراوية الرابطة بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء [2] .

2- التضاريس :

من بين أهم مظاهر السطح التي تسود هذه المنطقة : السهول والسهول التحاتية . وتتشكل السهول أساسا من رواسب أفقية ، وقد تكون مائلة ميلا قليلا وارتفاعها ضعيفا ، أما السهول التحاتية فتتناظرمع سلسلتي " اركيبات " في الشمال، وجبال الموريتانيد في الغرب، وهاتان السلسلتان تعرضتا للتعرية بشدة ، ولم يبق منهما سوى تلال منعزلة [3] .

ومن مميزات سطح هذه المنطقة أيضا وجود مجموعة من الهضاب التي يتراوح ارتفاعها مابين 200 و 400 متر تقريبا ، ومن أشهرها هضاب : آدرار وتكانت ولعصابة ، وتطل هذه الهضاب على السهول والسهول التحاتية بواسطة جروف تعرف في الصحراء باسم " الظهور " ، ومن أهمها ظهر شنقيط ، وظهر تيشيت[4] ، وظهر ولاتة والنعمة [5] .

وتهيمن على سطح المنطقة الكثبان الرملية التي تغطي معظم السهول ، وتظهر تلك الكثبان في مجموعات ذات اتجاه شمالي شرقي – جنوبي غربي ، وهو اتجاه يتفق مع اتجاه الرياح القارية التي تهب على المنطقة خلال معظم فصول السنة [6] .

1- علي محمد الصلابي : المرجع السابق ، ص 12 .
2- أحمد مولود ولد أيده : **ملامح من التراث الموريتاني المخطوط** (مقال غير منشور) ، ص2 .
3- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص 12 .
4- تعد تيشيت من أعرق المدن في البلاد ، تأسست على يد الشريف عبد المؤمن في أواخر القرن السادس الهجري ، ازدهرت بها الحياة العلمية من عهد تأسيسها إلى القرن الثاني الهجري ، حيث نزح عنها أهلها و أصبحت قرية صغيرة : محمد المختار ولد أباه : **الشعر و الشعراء في موريتانيا** . دار الأمان ، الرباط ، 1424 ه / 2003 م ، ط1 ، 28 .
5- المرجع نفسه ، ص 12 .
6- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص18 .

ويميز هذه البلاد طبيعيا أنها تنقسم إلى منطقتين :

- في الشمال : منطقة صحراوية جبلية وتقع فيها بعض الواحات الهامة التي يزرع فيها النخيل وبعض الحبوب ، مثل واحات آدرار وتكانت ... وغيرهما [1] . وتتميز هذه المنطقة بكونها عبارة عن مجموعة من الكثبان الرملية المتحركة ، تفصل بينها في بعض الأحيان نطاقات من الحصى والحصباء تسمى محليا " الرك " ، وهي ناتجة عن تفتت الصخور ميكانيكيا ، وتتناقص تلك " الركوك " كلما اتجهنا جنوبا [2] .

- في الجنوب : منطقة سهلية زراعية تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى آدغاغ (في مالي) شرقا ، ومن نهر السيغال جنوبا إلى خط وهمي غير بعيد عن خط العرض 17 50 شمالا . وليس لهذه المنطقة اسم عام وإنما تختص كل ناحية منها باسم محلي مثل القِبلة ، وآفطوط ، والرقيبة ، والحوض[3] . وتتميز هذه المنطقة بأنها أكثر ثباتا ، و ذلك لوفرتها النسبية على النباتات الساحلية هنالك ؛ أما ساحل المحيط الصحراوي ، فإنه صخري وأكثر تعرجا من جزئه الشمالي ، في حين يكون رمليا ويكاد يكون مستقيما في جزئه الواقع إلى الجنوب من رأس تيمريس[4] . كما تتميز المنطقة كذلك بسقوط كميات من الأمطار الموسمية ، وتوفر المراعي الكافية لتربية المواشي فيها من غنم وبقر وإبل وغيرها ، وتتميز بقيام نشاط زراعي بها منذ أقدم العصور ، مما جعل معظم السكان يتركزون فيها [5] .

1- المختار ولد حامد : **" الجغرافيا "** ، المرجع السابق ، ص10 .
2- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص13 .
3- المختار ولد حامد : **" الجغرافيا "** ، المرجع السابق ، ص10 .
4- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص14 .
5- المختار ولد حامد : **" الجغرافيا "** المرجع السابق ، ص10 .

3- المناخ :

الطقس على العموم بهذه المنطقة من الصحراء حار وجاف ، ويختلف بحسب الإرتفاع والإنخفاض وقرب النهر أو المحيط وبعدهما ، فهواء التل (الشمال) صحي ونقي ، شديد الحر والبرد ، وهواء القِبلة (الجنوب) كثير الندى عفن مضر بالصحة [1] .

ويمكن التمييز بين منطقتين مناخيتين بالبلاد ، هما :

- منطقة صحراوية شمالية .

- منطقة ساحلية تقع على الأطراف الجنوبية للصحراء [2] .

كما يمكن التمييز بين فترتين زمنيتين تتعاقبان على المنطقة ، إحداهما طويلة وجافة وباردة نسبيا ، والأخرى حارة ورطبة .

ومن البديهي أن درجات الحرارة تكون أكثر انخفاضا في الليل منها في النهار ، كما تكون أكثرارتفاعا في فصل الصيف مقارنة بالفصل الجاف والبارد نسبيا الذي هوالشتاء [3] . وفصل الصيف هو المعروف بتساقط الأمطارعلى وجه العموم [4] ؛ وينقسم هذا الفصل في هذه المنطقة إلى قسمين :

- قسم حار وجاف ، ويبدأ من أفريل وينتهي مع بداية جوان .

- قسم رطب تتهاطل فيه الأمطار ، ويكون عادة بين شهري جويلية وأكتوبر[5] ، وأكثر الشهور مطرا هو شهر أوت [6] .

1- المختار ولد حامد : **" الجغرافيا "** ، المرجع السابق ، ص 11 .
2- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص 15 .
3- نفس المرجع ، ص15 . .
4- المختار ولد حامد : **" الجغرافيا "** ، المرجع السابق ، ص11 .
5- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص ص 15 ، 16 .
6- المختار ولد حامد : **" الجغرافيا "** ، المرجع السابق ، ص 12 .

ثالثا : الخصائص البشرية لبلاد شنقيط :

1- سكان بلاد شنقيط القدماء :

من الراجح لدى المهتمين بالآثار أن منطقة الصحراء الغربية بدأ استيطانها منذ الفترة الأخيرة من العصر الحجري ، و أن أول من استوطنها هو شعب زنجي بدائي يعيش على الصيد وجني الثمار ، لم يلبث أن انزاح إلى الجنوب بفعل جفاف الصحراء ، وهجرة شعوب من شمال إفريقيا إلى المنطقة ، عرفت أحيانا باسم النوميد أو الجيتول ، وباسم المور (Maures) أحيانا أخرى ويجمعها اسم الليبيين البربر (Lybico-berberes)[1].

ومهما يكن فإن أشهر السكان الذين استوطنوا بلاد شنقيط منذ القديم هم قبائل صنهاجة ، التي قدمت إلى هذا الإقليم ضمن هجرة قبائل البربر التي غادرت إفريقيا الشمالية خلال القرن الثالث المسيحي متوجهة نحو الغرب هاربة من الاحتلال الروماني، وبدأت في احتلال الصحراء من الشمال ، لتضاف الى الهجرات التي سبقتها ، و التي كانت موغلة في القدم وتعود إلى ما قبل الميلاد [2].

يكاد الكتاب والباحثون يتفقون على أن سكان غرب الصحراء خلال القرون السابقة للعهد المسيحي كانوا في معظمهم من البربر ،وأن هجرات من الشمال توالت على المنطقة تحت تأثير الضغط الروماني ، وذلك نتيجة السياسة التعسفية لروما تجاه سكان المغرب، بحيث كان المستوطنون والجنود الرومان يقومون بطرد السكان الأصليين من

1- عبد الله ولد بن احميدة : المرجع السابق ، ص23 .

2- حماه الله ولد السالم : **تاريخ بلاد شنكيطي "موريتانيا"(من العصور القديمة إلى حرب شربيه الكبرى بين أولاد الناصر ودولة ابدوكل اللمتونية)** . دار الكتب العلمية ، بيروت ،2010 ، ط1 ، ص 19 .

أراضيهم الصالحة للزراعة ، وسلبهم حيواناتهم ، مما اضطرهؤلاء إلى الإلتجاء إلى الصحراء وأجزاء أخرى من غرب ووسط إفريقيا [1].

لقد أدت هذه السياسة من طرف روما إلى ثورة السكان ضد الحكم الروماني ، كثورة تاكفاريناس (17– 34 م) ، وخاصة في النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد في عهد جوليانوس ، الذي تم خلاله الإنتصار على الثوار ونفيهم إلى الصحراء ؛ كما نشبت ثورات أخرى خلال الثلث الأخير من القرن الرابع الميلادي : كثورة فيرموس (372– 375 م) وثورة جيلدو (397– 398 م) اللتين تمكن منهما الرومان وقاموا بمطاردة قبائل كثيرة ناصرت للحركتين وأرغمو ها على دخول الصحراء ، فاتخذت هذه القبائل من الصحراء ملاذا آمنا لها ، و استوطنتها بشكل دائم [2] .

ومع بداية العصر المسيحي طغت على سكان الصحراء تسميات شعوب أخرى لا يعلم إن كانت تدل على هجرات شعوب فرضت هيمنتها على المنطقة خلال تلك الفترة ، أم أنها مجرد تسميات جديدة حلت محل تسميات قديمة لنفس المجموعات التي كانت تقطنها ، كالإثيوبيين ، والفاروسي ، والجيتول والنازامونس [3] .

واختلطت صنهاجة بشعوب بربرية – لوبية قديمة كالجرامنت والبافور وغيرهم [4] . وهؤلاء الجرامنت (أو الجرميين) هم من سلالة اللوبيين الذين كانوا أسلاف صنهاجة الصحراء بأطيافهم المختلفة ، ويسمون محليا في موريتانيا " أغ رمان " وو احدهم " أغ رماني " ، وهي كلمة بربرية معناها عبيد الرومان ، تعبيرا عن صلتهم بالرومان . وكانوا

1- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص38 .
1- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص ص 38 ، 39 .
2- المرجع نفسه ، ص ص 35 ، 36 .
3- موسى كمرا : المصدر السابق ، ص18 .

يسكنون آدرار موريتانيا ، وبقيتهم ذابوا في شعب الولوف (الجولوف) السينغاليين ، أو بقوا في النيجر الحالي[1] .

ومن الشعوب التي استوطنت بلاد شنقيط قديما :

أ ـ اليهود :

يحتمل وصول الموجة الحقيقية الأولى من مهاجري اليهود إلى شمال إفريقيا في أواخر القرن السادس قبل الميلاد ، و ذلك إلى سيرينابيك (cyrénaïque) أو طرابلس الغرب . وفي سنة 115 م ، اندلعت ثورة يهودية كبيرة ضد الحكم الروماني في سيرينابيك ، ثم بعد إخمادها هرب الكثير من اليهود نحو الغرب ؛ ويحتمل أن يكون البعض منهم قد بقي في الواحات شمالي الصحراء . وكان هؤلاء اليهود دائما من سكان الحضر غير رحل ، وكان وجودهم في الصحراء وجودا تجاريا مؤقتا [2] .

ب ـ البافور :

يعتبر شعب البافور من بين أقدم الشعوب التي سكنت بلاد شنقيط و الصحراء الغربية عموما ، و من أقدم من احتفظت الروايات المحلية بذكريات عنهم ؛ ولقد ظلت أصولهم محل غموض كبير ، و ذلك لتضارب هذه الروايات حولها ، ولكنها تجمع على أنهم لم يكونوا زنوجا [3] .

4- المرجع نفسه ، ص18 .
1- حماه الله ولد السالم : **تاريخ بلاد شنكيطي** .المرجع السابق ، ص ص 23 ، 24 .
2- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص 72 .

ويوجد عدد من المواقع في بلاد شنقيط تنسب إلى البافور مثل : آزوكي[1] ، وآبير، وتينيكي[2] ، والتي يلاحظ بشأنها أنها تتميز ببعض الخصائص ، مثل تمركز ها بالقرب من أماكن تواجد مصادر المياه ، وتموقعها في منحدرات جبال أو وديان ، كما أن بعضها مثل آزوكي يوجد بمناطق ذات خصائص طبيعية ؛ ومن بين الصور المميزة التي تقدمها الروايات الشفوية للبافور كونهم مجموعة مستقرة تمارس الزراعة و الرعي[3] .

لقد أجمعت الروايات المحلية على أن البافور كانوا يمتلكون الكلاب ويكثرون منها لاستخدامها في مجالات متعددة ؛ فكانوا يستغلونها مثلا في مجال مطاردة الوحوش واصطيادها ويدربونها على ذلك ، كما كانوا يستخدمونها في مجال الحراسة ، حتى اشتهرت آزوكي ، وهي من أكبر وأهم قرى البافور في المنطقة ، باسم مدينة الكلاب [4] .

2- طبقات المجتمع ببلاد شنقيط :

من المتعارف عليه أن المجتمع في بلاد شنقيط ينقسم إلى ثلاث فئات ، وهو تقسيم حسب الوظيفة الاجتماعية ، وهذه الفئات الثلاث هي :

أ) فئتان تتبوءان مراكز عليا في المجتمع ، وهما : القبائل المحاربة أو حملة السلاح ، وتقابلها قبائل المرابطين أو الزوايا المهتمة بالعلم [5] .

1- آزوكي : تقع في الشمال الغربي لموريتانيا الحالية بمنطقة آدرار موريتانيا ، وتعزو روايات تأسيسها إلى البافور ، أحمد مولود ولد أيده : **الصحراء الكبرى مدن وقصور** . المرجع السابق ، ص110 .

2- تقع أطلال هذه المدينة بين شنقيط و وادان ، و يرجح أنها أول حاضرة علم في البلاد بعد رباط عبد الله بن ياسين و آزوكي ، تأسست في القرن السادس الهجري ، وازدهرت في القرن العاشر منه ، كحاضرة من حواضر العلم في البلاد ، وهو القرن الذي عرفت فيه خرابها ، الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص74 .

4- أحمد مولود ولد أيده : **الصحراء الكبرى مدن وقصور** . المرجع السابق ، ص178 .

5- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص ص 73 ، 74 .

6-Etienne Richet : **La Mauritanie**.Emile Larose Librairie . Editeur , Paris , 1920 , p59.

1-المحار بون أو حملة السلاح أو بنو حسان ، و هم في الغالب عرب من أصول هلالية ، ولو أنه تدخل في دائرتهم مجموعات من المرابطين[1] أو غيرهم ممن سار بسيرتهم[2] .

2- المرابطون أو الزوايا ، وهم عدا قبائل كنتة الزناتية من بربر صنهاجة[3] ، يقومون بالخطط الدينية من تعلم وتعليم وقضاء وفتوى ؛ و اسم الزوايا لا يطلق فقط على المرابطين بل على كل من سار بسيرتهم ، سواء من العنصر الحساني أو ممن كان لحميا [4] ؛ وقبائل المرابطين هي الأكثر عددا وأهمية في المجتمع [5] .

ب) فئة غارمة تضم المجموعات التي لم تختص لا بسيف ولا بقلم ، وهي " اللحمة "[6] وتتكون من قبائل تشتغل بالرعي وتربية المواشي ، ومجموعة الحراطين[7] التي تقوم بنشاط الزراعة ، ثم تأتي مجموعات أقل عددا تختص بالصناعة التقليدية (حدادة ، نجارة ، دباغة ... الخ ...) ، أو تحترف الفنون (الطرب ، الشعر المديحي ... إلخ ...) ، بالإضافة إلى العبيد[8] الذين تتمثل مهمتهم في القيام بمختلف الأعمال المنزلية ، وهم تحت رحمة مالكهم الذي بإمكانه بيعهم أو حتى قتلهم إذا ما أراد [9] .

1- Ismael Hamet: **Chroniques de la Mauritanie Sénégalaise Nacer Eddine** . Ernest Leroux , Editeur , Paris , 1911 , p45

2- المختار ولد حامد : المرجع السابق ، ص29 .

3 - Hamet (I.) : op.cit , p46 .

4- المختار ولد حامد : المرجع السابق ، ص29 .

5- Richet (E.) : op.cit , p 59 .

6- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 30 .

7- الحراطين : إحراضن بلسان البربر ومعناها المختلط من أب بربري وأم إثيوبية ، الناني ولد الحسين: المرجع السابق ، ص22 ، وكانوا يمثلون فئة العبيد في بلاد شنقيط ، Hamet (I.) : op.cit , p46

8- عبد الودود ولد عبد الله(ددو) : المرجع السابق ، ص61 .

9- Richet (E.) : op.cit, p62 .

يقول صاحب كتاب الوسيط في شأن هذه الفئات : " سكان شنقيط من حيث الجنس : في الأصل قبائل من البربر ، كانت تقطن صحراء المغرب ، ثم دخلها العرب في الفتوح الإسلامية ، وتغلبوا عليهم ،فصاروا قسمين : عربا ، وبربرا ، ثم تجنسوا جنسين : الزوايا، وحسان ، وانقسمت قبائل حسان إلى قسمين : العرب واللحمة ، فصارسكان شنقيط بهذا الإعتبار ثلاثة أجناس ..." [1] .

وقد اعتبر بعض الباحثين أن الفئتين الأوليين هما جناحان لمجموعة واحدة هي مجموعة السادة أصحاب سلطتي السيف والقلم ، أي أن هناك فئتين في المجتمع تتقابلان ، الفئة الأرستقراطية بجناحها العسكري والمدني وهي السيدة ، والفئة المستَغَلَّة (بفتح الغين) التي تضم المجموعات المتضمنة في الفئة الغارمة [2] .

1- أحمد بن الأمين الشنقيطي : المصدر السابق ، ص 475 .
2- عبد الودود ولد عبد الله (ددو) : المرجع السابق ، ص 62 .

الفصل الثاني

إنتشارالإسلام واللغةالعربية في بلاد شنقيط

أولا : إنتشار الإسلام في بلاد شنقيط

ثانيا : إنتشار اللغة العربية في بلاد شنقيط

أولا:إنتشارالإسلام في بلاد شنقيط :

تعرفت بلاد شنقيط على الإسلام منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي عبر مراحل مختلفة ، بدءا من حملة عقبة بن نافع الفهري ، ومرورا بدور التجار المسلمين القادمين إليها ، و بدور المرابطين ، و انتهاء بوفود الطرق الصوفية إليها .

1 ـ مرحلة الفتوحات :

لقد واكب دخول الإسلام إلى بلاد شنقيط الحملات الجهادية التي اكتسحت الشمال الإفريقي وذلك في القرن الأول الهجري ، وبلغت أصداؤها الصحراء الكبرى وشمال السودان [1] .

فاعتبارا من سنة 62 هـ (682 م) حدث أول اتصال بين جيوش الفتح الإسلامية بقيادة عقبة بن نافع الفهري ، والقبائل الصنهاجية ، وذلك خلال حملة عقبة الثانية على المغرب أين بلغ المغرب الأقصى ، و كان أول ما فتح منه طنجة ثم وليلى ، ثم توالت الفتوح في أنحاء البلاد ، فتقدم إلى السوس وفتح عاصمته تارودانت [2] ، وقاتل قبائل مسوفة من أهل اللثام وراء السوس [3] ، ثم توجه إلى الساحل الأطلسي ورفع يديه إلى السماء و قال : " اللهم اشهد أني بلغت المجهود ، و لولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك " [4] .

وبالإضافة إلى مسوفة ، تذكر المصادر العربية الوسيطة قبيلة أخرى من قبائل صنهاجة اللثام أسلمت على يد عقبة بن نافع الفهري ، وكانت تقطن المنطقة الوسطى من

1- محمد المختار ولد أباه : المرجع السابق ، ص12 .

2- ابن عبد الحكم : **فتوح إفريقيا والأندلس** . تحقيق وتقديم : عبد الله أنيس الطباع ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ، بيروت ،1964 ، ص14 .

3- ابن خلدون : **العبر** ، ج4 ، ص237 .

4- المالكي : **رياض النفوس (في طبقات علماء القيروان والأندلس و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم)** ، تحقيق : بشير البكوش ، مراجعة : محمد العروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1: 1403 ه / 1983 م – ط2 : 1414 ه / 1994 م ، ج1 ، ص 39 .

صحراء الملثمين ، وفي هذا يقول ابن أبي زرع : "... **ومدينة تاتكلاسين يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون ببني وارث ، وهم قوم صالحون على السنة والجماعة أسلموا على يد عقبة بن نافع الفهري أيام فتح المغرب...**" [1].

يعتقد بعض الباحثين أن اتصال الفاتحين العرب بقبائل الملثمين أثناء فتوحات عقبة لم يقتصر على بني وارث ومسوفة ،وإنما شمل كل قبائل الصحراء ، خاصة لمتونة ، إذ لا شك – حسب ذلك الرأي – أنها لم تذعن لعقبة من أول جولة ، بل قاومته ، واشتركت فيما بينها في هذا القتال دفاعا عن كيانها [2] .

واستؤنفت الفتوح في إفريقية في عهد موسى بن نصير ، فسيّر هذا الأخير حملة من إفريقية إلى طنجة حتى بلغ السوس الأدنى الذي هو بلاد درعة ، فخضعت له المنطقة ، وجعل لأهلها من يفقههم في أمور الدين ، وقام بإنشاء المساجد في البلاد التي افتتحها كمسجد أغمات هيلانة [3] . وكانت سياسة موسى بن نصير متممة للسياسة التي بدأها أبو المهاجر وحسان بن النعمان ، اللذين عملا قبله على محاولة استمالة قبائل البربر للإسلام؛ إذ أخذ موسى يعمل على إشراك البربر في جيوشه ، وتكليف الفقهاء بتعليمهم قواعد الإسلام ؛ فنتج عن تلك السياسة اندماج المغرب في جسم الدولة الإسلامية ، إذ صار يدين بدينها، ويتكلم لغتها [4] . وهكذا امتد النفوذ العربي الإسلامي أثناء ولاية موسى بن نصير إلى غاية المناطق الصحراوية ، بعد أن تمكن هذا الأخير من فتح كافة أرجاء المغرب الأقصى خلال الفترة مابين 705 و 709 م ، وولى ابنه مروان بن موسى على

1- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص76 .

2- حسن أحمد محمود : **قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)**، دار الفكر العربي ، القاهرة – مصر ، د.ت ، ص61 .

3- ابن عذارى المراكشي : **البيان المغرب في أخبار المغرب** . تصحيح : رينارت دوزي ، مطبعة بريل بمدينة ليدن المحروسة ، 1838 ، ص ص 27 ، 28 .

4- عصمت عبد اللطيف دندش : **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (430 . 515 ه – 1038 . 1121 م)** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ، 1408 ه / 1988 م ، ط1 ، ص38 .

منطقة السوس الأقصىالمجاور ة لصحراء الملثمين ؛ ويعتقد أن مروان اتصل بهؤلاء ، وأنهم جددوا اعتناق الإسلام على يده أو على يد موفدين من طرفه دعاة أو قادة حملات عسكرية[1] .

واستمرت جهود الفاتحين في نشر الإسلام ؛ ففي سنة 116 هـ / 734 م ، قاد حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع والي هشام بن عبد الملك على المغرب ، بنفسه حملة إلى المغرب الأقصى فبلغ السوس الأقصى وأرض السودان وغنم مغانم كثيرة [2] . وبصفة عامة ، فإن مرحلة الحملات العسكرية على الصحراء ، والتي امتدت ما بين سنتي 682 و 745م ، وإن لم تفض إلى دخول جميع سكان تلك المنطقة في الإسلام ، وتطبيقهم لتعاليمه بشكل مباشر ، إلا أنها جعلتهم على علم به ، وربطتهم بمراكز إشعاعه في الشمال ، وأصبح الدور بعد ذلك على التجار و الدعاة المسلمين في سبيل نشر هذا الدين وبطريقة سلمية هادئة [3] .

2- مرحلة الإنتشار السلمي للإسلام :

لقد مهدت حملات الفتح العسكرية لدخول الإسلام لبلاد شنقيط عن طريق إشعار السكان بالدين الجديد ، بل وأدت إلى اعتناق الملثمين له ولو بصورة شكلية ؛ كما كان لقادة تلك الحملات وكذلك الولاة والحكام العرب المسلمين في شمال افريقيا دور في تذليل العقبات أمام عابري الصحراء ، وذلك عن طريق حفر الآبار على طول الطرق التي تربطها بالمغرب، خاصة في المناطق الوعرة والرملية ، مما ساعد على تدفق التجار العرب والبربر

1- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص207 .
2- ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ص 93 ، 94 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ص38 .
3- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص209 .

المسلمين إلى الصحراء ، والذين أثروا بشكل مباشر في ثقافة سكانها ، خاصة باستقرار بعضهم بها[1] .

كما كان لقيام الدول الإسلامية المستقلة في المغرب الإسلامي ابتداء من النصف الثاني للقرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ، واهتمامها بالطرق المؤدية إلى الصحراء ، دور في تأثر الملثمين بدعواتها ، سواء عن طريق التجارأو بواسطة اتصال قادة الملثمين بزعاماتها بشكل مباشر ؛ ومن أهم تلك الدول : الدولتان الخارجيتان الرستمية والصفرية ، ودولة الأدارسة ، والدولة الفاطمية [2] .

وفي عهد دولة الأدارسة انضوى الملثمون تحت لوائها ، وأصبحت بلادهم جزءا من أملاك الأدارسة ، ويُـَلي هؤلاء عليها الولاة ، ويخضعونها للحكومة المركزية في فاس ، مما زاد في إسلام الملثمين ؛ وسيتضح ذلك أكثر في القرن الثالث الهجري [3] .

3- المرحلة المرابطية :

لقد ظهرت البوادر الأولى لقيام دولة المرابطين ، التي كانت تهدف إلى تصحيح المسار الديني في المنطقة وتعميقه [4] ، منذ حجة الزعيم السياسي الصنهاجي الصحراوي " أبي عبد الله بن تيفاوت[5] الموصوف بأنه من أهل الفضل والدين والحج والجهاد[6]، والذي قتل بعد ثلاث سنوات من إعلانه الجهاد لنشر الإسلام بين سكان الصحراء [7] .

1- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص209 .
2- المرجع نفسه ، ص209 .
3- حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص72 .
4- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص 214 .
5- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص 215 .
6- لسان الدين ابن الخطيب : **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ومايتعلق بذلك من الكلام** . تحقيق سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ج2 ، ص 384 ، ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص76 ، ابن خلدون : **العبر** . ج6 ، المصدر السابق ، ص242 ، الناصري : **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** . تحقيق وتعليق : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ، ج2 ، ص5 .
7- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص 215 .

أما المنعطف الثاني في حركة انتشار الإسلام في الصحراء ضمن هذه المرحلة (المرابطية) ، فكان في عهد الزعيم يحيى بن إبراهيم الجدالي[1] صهر عبد الله بن تيفاوت ، والذي آلت إليه زعامة الملثمين ؛ وتمثل هذا المنعطف في رحلة حج هذا الزعيم (429 هـ / 1037 م) ، وتردده على مجالس العلم ، وتعطشه للحصول على معلم يرافقه إلى الصحراء كي يفقه قومه ويساعدهم في رفع مستوى معرفتهم للدين الإسلامي[2] .

وهذا ما تم له فعلا ؛ إذ في طريق عودته من الحج ، مر بالقيروان ، أين التقى بشيخ المذهب المالكي أبي عمران الفاسي[3] ، فسأله هذا الأخير عن بلده وسيرته وما ينتحلون من المذاهب ، ولما علم بجهل قومه استفسره عما يمنعهم من تعلم الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فكانت إجابة يحيى بن إبراهيم أن قال له : " لا يصل إلينا إلا معلمون لا ورع لهم ولا علم بالسنة عندهم " ، ورغب إلى أبي عمران أن يرسل معه من تلاميذه من يثق بعلمه ودينه ليعلمهم ويقيم أحكام الشريعة عندهم [4] ، ويرجعون إليه في نوازلهم وقضايا دينهم [5] ، ولما طرح الفقيه الأمر على تلامذته ، لم يجد فيهم من يرغب في القيام بهذه المهمة ، فكتب إلى الفقيه محمد وجاج بن زلو اللمطي بسجلماسة ، و قد كان من الآخذين

1- يقول حماه الله ولد السالم أن يحيى بن إبراهيم ليس جداليا وإنما هو لمتوني لأنه من ذرية إبراهيم بن ترجوت ، و ذلك انطلاقا من كتابات الصيرفي الذي يقول أنه هو الأعرف بالمرابطين تاريخا وأنسابا ، **تاريخ بلاد شنكيطي** ، المرجع السابق ، ص 49 .

2- المرجع نفسه، ص214 .

3- هو موسى بن عيسى بن أبي حاج بن وليم بن الخير الغفجومي ، وغفجوم فخذ من زناتة ، وقيل من هوارة ، وأصله من فاس ، القاضي عياض : **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ، تحقيق : سعيد أحمد أعراب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، 1402 ه – 1982 م ، ج7 ، ص243 . ابتدأ نشاطه العلمي سنة 402 ه ، جلس للطلبة في المسجد وفي داره أيضا، وسرعان ماعرف قدره واشتهرت إمامته ، وعظم ذكره في الآفاق ؛ وقد خلف الإمام القابسي ، وهو أحد شيوخه بالقيروان المتوفى سنة 403 ه ، في نشر علوم السنة في إفريقية ورئاسة العلم بها ، ورحل إليه الناس من الأقطار لسماع مروياته ، واستجازه من لم يستطع الإجتماع به ، ونال ثناء العلماء عليه آنذاك ، علي محمد الصلابي : المرجع السابق ، ص 19 .

4- البكري : المصدر السابق ،ص165 ، ابن أبي زرع : المصدرالسابق ، 77 ، ابن خلدون : **العبر** . ج6 ، المصدر السابق ، ص ص 242 ،243 ، الناصري ، المرجع السابق ، ص ص 5 ، 6 .

5- ابن خلدون : **العبر** . ج6 ، المصدر السابق ، ص243 .

عنه، وعهد إليه أن يلتمس لهم من يثق بدينه وفقهه ، ويروض نفسه على مسغبة أرضهم في معاشه ، فبعث هذا الأخير إليهم عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي [1] . وتعتبر بعض كتب التاريخ أن أبا عمران الفاسي هو الذي وضع الخطوط الأولى مع الزعيم يحيى بن إبراهيم لقيام دولة صحراوية سنية في بلاد المغرب على أسس دينية صحيحة ، حتى تتمكن من القضاء على الفوضى السياسية والدينية التي كان يتخبط فيها المغرب لسنوات عديدة [2] .

ومهما يكن من أمر ، فقد كان لعبد الله بن ياسين دور كبير في نشر الإسلام بين قبائل الملثمين رفقة أتباعه المخلصين ، والذين سيواصلون مسيرته من بعده .

دور عبد الله بن ياسين في نشر الإسلام بين قبائل الملثمين :

التعريف بعبد الله بن ياسين :

هو عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي ، أصله من قرية تماماناوت " في طرف صحراء غانة [3] .

درس على يد فقيه السوس وجاج بن زلو ، ثم رحل إلى الأندلس في عهد ملوك الطوائف و أقام بها سبع سنين ، واجتهد في تحصيل العلوم الإسلامية ، ثم أصبح من خيرة طلبة وجاج بن زلو الذي وقع عليه اختياره من أجل دعوة القبائل الصنهاجية للإسلام [4] . خرج عبد الله بن ياسين إلى بلاد جدالة ، فسر به أهلها [5] ، ورأى المنكرات ظاهرة فيهم

1- البكري : المصدر السابق ، ص 165 ، ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 77 ، 78 ، ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 385 ،ابن خلدون : **العبر** . ج6 ، المصدر السابق ، ص 243 ، الناصري : المرجع السابق ، ص 6 ، 7 .
2- علي محمد الصلابي : المرجع السابق ، ص ص 15 ، 16 .
3- البكري : المصدر السابق ، ص 165 .
4- علي محمد الصلابي : المرجع السابق ، ص21 .
5- ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 385 ، ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص78 ، الناصري : المرجع السابق ، ص 7 .

وشائعة ، فأخذ يعلمهم أمور دينهم و يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر[1] ، وهم يسمعون له ويطيعون ، ولكنهم ما لبثوا أن سخطوا عليه وطردوه وهدموا داره ونهبوا ما فيها ، وذلك لتناقض ظهر لهم فيه [2] ، أو لتشديده عليهم في ترك ما هم عليه من المنكرات والمحظورات[3]. وتعد هذه المرحلة بالنسبة لابن ياسين هي مرحلة الدعوة ، والتي قام أثناءها بتعريف الناس بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ، مع تنقية هذه الأخيرة مما علق بها من ملوثات شركية و وثنية كانت سائدة في عقائد الملثمين في تلك الفترة ، وبتعليمهم مختلف الفرائض ، حيث وجدهم لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ، مع محاربته للعادات السيئة التي كانت عندهم [4] .

ارتحل عبد الله بن ياسين صحبة يحيى بن إبراهيم إلى إحدى الجزر بالمحيط الأطلسي ومعهما سبعة رجال من جدالة ، فابتنيا هناك رابطة أقام بها مع أصحابه يعبدون فيها الله ، ولم تمر عليه إلا أيام حتى اجتمع له نحو ألف رجل من أشراف صنهاجة ، فسماهم " المرابطين " للزومهم رابطته ، وأخذ يعلمهم الكتاب والسنة وسائر الفرائض ، ثم دعاهم إلى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة ، وأمرهم أن ينذروا قبائلهم لسبعة أيام حتى يتوبوا ويرجعوا إلى الحق ، فإن أبوا حق عليهم جهادهم ؛ فما كان من تلك القبائل إلا أن أعرضت عن دعوة هؤلاء ولم تقبلها ، وهنا أعلن عبد الله بن ياسين الجهاد ضدهم [5] .

وقد بدأ غزوه بقبيلة جدالة وتمكن من إخضاعها ، ثم تحول إلى قبائل لمتونة حتى أخضعها أيضا ، و بعد ذلك سار إلى قبائل مسوفة فغزاها حتى أذعنت له ، وبايعه أهلها

1- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 78 ، الناصري : المرجع السابق ، ص 7 .
2- البكري : المصدر السابق ، ص ص 165 ، 166 .
3- ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 385 ، ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص78 ، الناصري : المصدر السابق ، ص 7 .
4- علي محمد الصلابي : المرجع السابق ، ص 36 .
5- ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 385 ، ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 79 .

على ما بايعته قبائل لمتونة وجدالة [1] ، وهكذا مع باقي القبائل الصحراوية حتى استولى على الصحراء كلها ، وأجابته جميع تلك القبائل ودخلت في دعوته والتزمت السنة به [2] .

و بعد وفاة عبد الله بن ياسين تواصلت عملية الفتح الإسلامي للمنطقة عن طريق أتباعه المخلصين لنهجه الذين تركهم من بعده ، منهم يحي بن عمر الذي خلفه بعد مقتله ، و أخوه أبو بكر بن عمر الذي جاء بعده ، فواصل الأخوان عملية الفتح في بلاد السودان [3]. و استمر انتشار الإسلام ببلاد شنقيط مع قدوم قبائل المعقل العربية [4]إلى المنطقة و ذلك في عهد الدولة المرينية ، و كان لاحتكاك هذه القبائل مع صنهاجة اللثام المسلمة أن مهد لتعميم الإسلام و تعميقه بالبلاد ، و مما سيزيد من وتيرة هذا الإنتشار وتعميمه أكثر على المستوى الشعبي هو وفود الطرق الصوفية إلى المنطقة [5].

لقد ظهرت الصوفية مبكرا في الأندلس على يد ابن مسرة الجبلي و ذلك في أواخر القرن الثالث الهجري ، ومنها انتقلت إلى المغرب ، ولم يكتمل نموها في حرية لقيام الدولة المرابطية التي وقفت بحزم ضد التصوف و أهله [6].

و قد كان التصوف في بلاد شنقيط في مراحله الأولى محصورا في دائرة ضيقة من العلماء ، و لم يتجاوز في ذلك العهد المستوى التأملي ، وبذلك ظل غائبا بمفهومه الطرقي ، ذلك أن الفقهاء بالبلاد لم يكونوا يرضون بوجود تنظيم صوفي ، حسب النموذج الطرقي

1- ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 385 ، ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ص 79 ، 80 ، الحلل الموشية : ص21 .

2- البكري : المصدر السابق ، ص 166 ، ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 385 ، ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 80 .

3- نور الدين شعباني : " علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي و آثارها الحضارية بين القرنين الرابع و التاسع الهجريين / 10 و 15 م" . **رسالة ماجستير** . جامعة الجزائر ، قسم التاريخ، 1426 - 1427 ه / 2005 - 2006 م ، 58 .

4- سيأتي الحديث عنها في العنصر الموالي من الفصل .

5- عبد الله ولد بن احميدة : المرجع السابق ، ص ص 50 ، 51 .

6- باب بن الشيخ سيدي الشنقيطي : المصدر السابق ، ص58 .

المعروف ، فعندما انتشرت الطريقة الخلوتية في منطقة "أكدز" ، خلال القرن العاشر الهجري (16 م) ، اعتبرها هؤلاء بدعة ، و أفتوا بجواز الشيخ الذي أدخلها البلاد وهو محمود البغدادي فتم قتله [1].

لكن الأمر لم يبق على هذه الحال، فقد بدأت تدخل إلى بلاد شنقيط عدة طرق صوفية، و نجحت في جذب الكثيرين إليها سواء كانوا من البلاد أو من المناطق المجاورة و خاصة من إفريقيا الغربية ، و ساهمت في تعميم الإسلام و تعميقه أكثر بتلك المناطق .

و من أقدم الطرق الصوفية التي وفدت إلى بلاد شنقيط الطريقة الشاذلية ، نسبة إلى الإمام أبي الحسن الشاذلي (593 هـ / 652 م) ، الذي أسسها في المغرب مع مطلع القرن السابع الهجري ، إلا أن انتشارها بالبلاد لم يكن كبيرا ، و لم يشع منها في البيئة الشنقيطية سوى الفرع الناصري نسبة إلى الشيخ محمد بن ناصر و ولده أحمد بن محمد بن ناصر[2]. وعن محمد بن ناصر أخذ عدد من الشناقطة الطريقة ، منهم سيدي محمد بن سيدي عثمان بن سيدي عمر الولي المحجوبي ، و سيدي عبد الله التنواجيوي و غيرهما [3].

ومن العلماء الشناقطة المنتسبين إلى الطريقة الشاذلية سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم و تلميذه أحمد بن طوير الجنة ، و من أعيان الشاذلية محمذ فال بن متالي و يحظية بن عبد الودود وغيرهما [4].

ثم دخلت الطريقة القادرية إلى البلاد ، التي تنسب إلى مؤسسها عبد الجيلاني في القرن السادس الهجري في العراق ، و تعد أهم الطرق الصوفية في بلاد شنقيط من حيث دورها في تعميم الإسلام و اتساع رقعة نشاطه [5].

1- عبد الودود ولد عبد الله (ددو) : المرجع السابق ، ص ص 77 ، 78 .
2- عبد الله ولد بن احميدة : المرجع السابق ، ص52 .
3- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 122 .
4- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص ص 122 ، 123 .
5- عبد الله ولد بن احميدة : المرجع السابق ، ص 55 .

دخلت هذه الطريقة إلى المغرب على يد أبي مدين شعيب بن حسن الأنصاري الأندلسي (ت: 594 هـ / 1198 م) ، فنشرها هناك ، و زاد انتشارها على يد عبد السلام بن مشيش بعده ، و اتسعت خريطة انتشارها على يد الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني التواتي (ت: 940 هـ / 1593 م) ، الذي تلقى عنه الشيخ سيدي اعمر بن الشيخ سيد أحمد البكاي بن سيدي محمد الكنتي الشنقيطي (ت: 959 هـ / 1552 م) ، و تفرعت القادرية في بلاد شنقيط ألى فرعين كبيرين : البكائية الكنتية والفاضلية [1].

فالفرع البكائي أسسه الشيخ سيد أحمد البكاي في القرن العاشر الهجري ، و كان قد سافر مرارا إلى الشمال ، و لقي الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في توات و أخذ عنه [2]، و تعد البكائية أهم فرع للطريقة القادرية ، و مركزها الرئيسي هو ولاتة أين كان مستقر الشيخ سيد أحمد البكاي [3]، وبلغت هذه الطريقة أوج مجدها مع الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت: 1226 هـ / 1821 م) [4]، فانتشرت على يده القادرية الكنتية البكائية ، و على يد المتصرين على يده و منهم الشيخ سيديا الكبير الأبيري (ت: 1285 هـ) [5]، فنشر الأخير الطريقة في بلاد شنقيط من نهر السينغال حتى شمال آدرار ، و امتد نفوذه إلى السينغال و غينيا [6].

1- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 121 .
2- المرجع نفسه ، ص121 .
3- Le Chatelier : **l'Islam dans l'Afrique occidentale** , Steinheil , Editeur , Paris , 1899 , p320 .

4- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص121 .
5- المختار بن حامد : **حياة موريتانيا "الحياة الثقافية"** ، الدار العربية للكتاب ، د.ت ، د.ط ، ص94 .

6 -Paul Marty: **Etudes sur l'Islam maure (Cheikh Sidia - les Fadelia - les Ida Ou Ali.** Ernest Leroux , Editeur , Paris , 1926, p56 .

إنتشرت هذه الطريقة في منطقة جنوب الجزائر و جزء من المغرب و منطقة الصحراء الكبرى و مالي و موريتانيا ، وامتدت إلى السينغال و غينيا ، و وصلت إلى نيجيريا [1].

و أما الفرع الفاضلي ، فينسب إلى الشيخ محمد فاضل بن مامين (1780– 1869م)، الذي ولد بمنطقة الحوض في شرق بلاد شنقيط و بها توفي ، و كان قد أخذ تعليمه على يد والده و على شيوخ آخرين من أشهرهم ولد محمد كيحل [2]، ثم توجه إلى " الجريف" شمالي مدينة شنقيط ، فاتخذ منها مقرا له [3].

و الفاضلية بدورها تتفرع إلى فرعين : فرع في المغرب و شمال بلاد شنقيط ، و هو الفرع الذي يمثله الشيخ ماء العينين و أبناء الشيخ محمد فاضل بن مامين و إخوانه ، و الفرع الآخر في الجنوب على حوض نهر السينغال مشيخة الشيخ سعدبوه ، هذا الأخير الذي تعامل مع الإستعمار بحكمة ، و كان يرى فيه خطرا داهما لا راد له ، على عكس أخيه ماء العينين ، و الذي شن حربا ضد الإستعمار في المغرب هو و أبناؤه من بعده [4]، و شجع القبائل المحاربة(بنو حسان) على قتال الفرنسيين الصاعدين من السينغال [5].

ثم وفدت إلى البلاد الطريقة التيجانية ، نسبة إلى مؤسسها أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار بن سالم التيجاني المولود بعين ماضي بالجزائر ، و تعد أحدث الطرق الصوفية نشأة و وصولا إلى البلاد ، و أوسعها انتشارا في إفريقيا الغربية [6].

1- أحمد بمبا : "خريطة الطرق الصوفي في غرب إفريقيا" ، موقع أون إسلام ، (2010/2/8) ، ص4.
1- Marty (P.) : **Etudes sur l'Islam maure...**, op.cit , p117 .

3- الخليل النحوي : المرجع السابق ، 122 .
4- أحمد بمبا : المرجع السابق ، ص4 .
5 - Marty (P.) : **Etudes sur l'Islam maure...** op.cit , p136 .

6- الخليل النحوي : المرجع السابق ، 123 .

و انقسمت التيجانية إلى فرعين محليين : الحافظية و الحموية ، فأما الحافظية فتنسب إلى الشيخ محمد الحافظ بن مختار بن حبيب العلوي (ت: 1236 هـ) ، و الذي سافر إلى الحج عام 1197 هـ، وعند عودته مر بمدينة فاس و استقر بها ، أين تتلمذ مباشرة على يد الشيخ أحمد التيجاني الذي أجازه كمقدم للطريقة التيجانية وكلفه بنشرها جنوب الصحراء [1]، ولما عاد إلى بلاد شنقيط سنة 1220 هـ / 1805 م ، نشر الطريقة فيها و نشرها أتباعه في إفريقيا [2]. و أما الحموية ، فنسبة إلى الشيخ حماه الله بن محمد بن سيدنا عمر بن حماه الله الشريف أحمد التيشيتي (ت: 1363) [3]، و قد تشكل هذا الفرع في شرق بلاد شنقيط و غرب السودان ، و امتد نفوذ الشيخ حماه الله على مناطق واسعة من بلاد شنقيط إلى ساحل العاج و غينيا و غيرها [4].

و إلى جانب هذه الطرق الرئيسية الثلاث ، ظهرت ببلاد شنقيط طرق صوفية أخرى محدودة في فتراتها و في مناطق انتشارها ، إلا أنها أدت أدوارا هامة ، منها "الغظفية" ، نسبة إلى الشيخ محمد الأغظف الداودي الجعفري الموريتاني ، و هي مزيج بين القادرية و الشاذلية ، و "الصديقية" المنسوبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، و قد أسسها سيدي محمد الصعيدي من مصر ، الذي قدم إلى البلاد في القرن التاسع عشر ، و "الخضرية" و التي تنسب إلى الشيخ عبد العزيز الدباغ وغيرها من الطرق [5].

1- عبد الله ولد بن احميدة : المرجع السابق ، ص54 .
2- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص123 .
3- عبد الله ولد بن احميدة : المرجع السابق ، ص ص 54 ، 55 .
4- الخليل النحوي : المرجع السابق ، 123 .
5- المرجع نفسه ، ص124 .

أولا : إنتشار اللغة العربية في بلاد شنقيط :

لقد كانت تسود الصحراء منذ القدم لغات زنجية وبربرية (كلام آزناكة [1] وآزير[2])[3] ، فأما آزير فلم يبق له أثر إلا في مدينة وادان ، وأما آزناكة فإنه منتشر لدى الزوايا القاطنين في أرض الترارزة [4] [5] ، ولم يكن للعربية حضور ذو شأن ؛ وبعد دخول الإسلام إلى المنطقة بقرون انقرضت هذه اللغات ، لتصبح اللغة العربية هي السائدة وإن بقي بعض السكان متمسكين بلهجاتهم [6]. فكيف ذلك ؟

يقسم بعض الباحثين تاريخ انتشار اللغة العربية في بلاد شنقيط إلى مرحلتين ، الأولى منهما تنتهي مع نهاية القرن السابع الهجري ومطلع الثامن ، مستغرقة السبعة قرون الأولى لانتشار الإسلام ، أما المرحلة الثانية ، فتبدأ من مطلع القرن الثامن الهجري و هو تاريخ هجرة قبائل المعقل العربية إلى البلاد ، و تنتهي بتأسيس الإمارات الحسانية منذ أواخر القرن الحادي عشر الهجري . ويطلق على المرحلة الأولى منها بمرحلة التعرب على المستوى الرسمي لبيان أن هذا التعرب يعود لإقبال قبائل صنهاجة الجنوب على تعريب نفسها ولا دخل لغيرها في ذلك ، و أنه (التعرب) لم يشمل سوى أوساط الطبقة الأرستقراطية الصنهاجية ، أما المرحلة الثانية فيطلق عليها بمرحلة التعريب على المستوى الشعبي ، أي أن انتشار اللغة العربية فيها يعود لدور القبائل العربية الوافدة ، و أنه مس جميع طبقات الشعب [7].

1- آزناكة :هي لسان بربر الصحراء : حماه الله ولد السالم : **تاريخ بلاد شنكيطي** ، المرجع السابق ، ص192 .

2- آزير : هي مزيج من اللهجة الصنهاجية واللهجة السوننكية (السودانية) ، وقد كان هذا اللسان رائجا في مدن القوافل : ولاتة ، تيشيت ، وادان ، شنقيط . حماه الله ولد السالم : **تاريخ بلاد شنكيطي** ، المرجع السابق ، ص192 .

3- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 284 .

4- الترارزة : نسبة إلى تروز بن عثمان بن مغفر بن أودي بن حسان ، و هو جد جميع الترارزة ، Paul Marty: **Etudes sur l'Islam et les tribus maures les Brakna** . Edition Ernest Leroux , Paris , 1921 , p12 .

5- أحمد بن الأمين الشنقيطي : المصدر السابق ، ص ص 511 ، 512 .

6- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 284 .

7- عبد الله ولد بن احميدة : المرجع السابق ، ص ص 63 ، 64 .

و مهما يكن من أمر ، فقد كان لقدوم قبائل المعقل الحسانية ذات الأصول العربية من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد شنقيط مع نهاية القرن الثامن الهجري (14 م) أن مثل حدثا هاما سيغير من وجه البلاد [1] ، فمن هم هؤلاء ؟

هم أبناء حسان بن مختار بن عاقل بن معقل[2] ، وينحدرون حسب ابن خلدون من كعب بن الحارث من قبائل مذحج اليمانية [3] ، بينما يؤكد نسابة المعقل انتسابهم لبني جعفر بن أبي طالب [4] .

لقد كان بنو هلال وبنو سليم يعترضون سبيل الحجاج في الجزيرة العربية ، ويقومون بنهب أموالهم ، وكانوا مع القرامطة في ثورتهم على العباسيين ، فلما انتصر الخليفة الفاطمي " عبد العزيز بن المعز " على هؤلاء الشيعة سنة 368 ه / 987 م ، نفى بني هلال وبني سليم إلى مصر و ألزمهم ألا يتجاوزوا النيل ، لكن هؤلاء العرب كانوا مصدر قلق بالنسبة للدولة الفاطمية هناك ، فتحينت هذه الأخيرة بهم الفرص حتى إذا قامت ثورة البربر في منطقة المغرب بقيادة " المعز بن باديس الزيري " ، بادر " المستنصر الفاطمي " (439 ه / 1047 م) إلى تنفيذ خطة تخلصه من الطرفين المزعجين (بني هلال وبني سليم إلى جانب الزيريين بالمغرب) فأعلن لبني هلال وبني سليم أن ملك المغرب قد أنحلهم مالا و أعطى كل فرد منهم جملا ومائة دينار حسب رواية ابن خلدون [5] .

وفي الطريق إلى المغرب استقر بنو سليم ببرقة وعاثو فيها فسادا (442 ه / 1050 م) بينما واصل بنو هلال رحلتهم إلى القيروان فدمروها (449 ه / 1057 م) ،

1-Paul Marty : **L'Emirat des Trarzas** . Editions Ernest Leroux , Paris , 1919 , p15 .

2- Ibid , p16 .

3- ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص ص 78 ، 78 .
4- حماه الله ولد السالم : **تاريخ بلاد شنكيطي** ، المرجع السابق : ص163 .
5- ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص ص 18 ، 20 .

ولكن الموحدين غلبوهم فانقادوا لهؤلاء ووقفوا معهم [1] ، وخضع المعقل لسلطان الدولة الموحدية فالمرينية ، ثم دخلوا في حلف " علي بن يدر الزكندري الجزولي " وغيره من ولاة الأطراف ، فخضد المرينيون شوكتهم مرارا . وفي عهد يعقوب بن عبد الحق (656-685 ه / 1258- 1286م) أثخن فيهم هذا الأخير، ثم حاصرهم يوسف بن يعقوب (685-701 ه / 1286- 1306م) بعد ذلك وأثخن فيهم ثانية سنة 786 ه ، مما اضطرهم للتقدم جنوبا [2] . و كان مجال سيطرة عرب المعقل طيلة القرن الثامن الهجري ما بين السوس و وادي درعة ، قبل أن يتقدموا جنوبا أواخر هذا القرن [3] .

والمجموعات الحسانية التي غزت بلاد شنقيط في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، تنحدر من اثنين من أبناء حسان هما : أودي و دليم [4] .

وقبل وصول الهجرة الحسانية إلى الصحراء ، كان هناك نوع من توزيع السلطات بين القبائل الصنهاجية في نواحي مختلفة من الصحراء ؛ ففي إقليم القِبلة (جنوب غرب موريتانيا) كانت السيطرة بيد قبيلة انيرزيك ، وفي بلاد تكانت وبلاد الرقيبة (شرقي البلاد) كانت السيطرة لقبيلة الأنباط ، أما في بلاد آدرار (الشمال الغربي) ، فكانت السلطة بيد قبيلة إديشلي ، بينما كان الحكم عند قبائل " إدّوكل " في بلاد الزمور (الشمال)[5].

وقد جاء هذا التقسيم نتاجا لانهيار بعض تلك الإمارات ؛ وابتداء من النصف الأول من القرن السابع الهجري نشأت إمارات صنهاجية ، أهمها إبدوكل في الشمال ، وانيرزيك في الغرب ، أما المجال الترابي الذي يشمل ما بين محيط ولاتة شرقا إلى ساحل الاطلسي غربا ، فكان عمليا تحت رقابة حاميات مملكة مالي[6] .

1- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص32 .
2- حماه الله ولد السالم : **تاريخ بلاد شنكيطي** ، المرجع السابق ، ص ص 163 ، 164 .
3- المرجع نفسه ، ص162 .
4- Marty (P.) :**l'Emirat des Trarzas** : op.cit , p17 .
5- موسى كمرا : المصدر السابق ، ص50 .
6- حماه الله ولد السالم : **تاريخ بلاد شنكيطي** . المرجع السابق ، ص155 .

ومن أهم هذه الكيانات السياسية : إمارة إبدوكل ، التي قامت في تاريخ تقريبي هو أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري (13 م) ، وكان مجال سيطرتها يشمل ما بين الساقية الحمراء شمالا ، إلى تخوم آدرار الحالي المتاخم للمجال الخاضع للممالك السودانية ، أي مملكة مالي فالسونغاي [1] .

بدأت الصراعات تشتد بين القوى البدوكلية ، وكان ذلك فاتحة للتدخل الخارجي من طرف قبائل بني حسان وفي طليعتها عشائر أولاد الناصر[2] ، الذين كانوا يجدون في إمارة إدّوكل سدا أمام تقدمهم جنوبا ؛ وكان لاتساع الهوة بين الشيخ محمد الكنتي وبين أخواله البدوكليين وتجذر الخلاف بينهم ، أن صادف تقدم أولاد الناصرنحو الجنوب ، فتحالفت هذه القبائل مع الكنتي ضد إمارة إدّوكل ، والتقى الطرفان (الإبدّوكل وقبائل بني حسان) في الساقية الحمراء ، فوقعت بينهما حرب سميت بحرب شرّببّا أو شرّببّات نسبة إلى ببّا وهو لقب الملك في إدّوكل . وتمييزا لها عن حرب شرّببّا الصغرى التي جرت بين الزوايا وأولاد رزق من جهة و بني حسان وأحلافهم من جهة أخرى سنوات 1671 -1677 ، سميت هذه الحرب بحرب شرّببّا الكبرى [3] .

وقد بدأت هذه الحرب في تاريخ قريب من نهاية القرن الثامن الهجري وبداية التاسع أو في العقود الأولى من هذا الأخير ، ودامت لأزيد من عشرين سنة أو أربعين ، بين كر و فر دون تغلب طرف على الآخر ، وانتهت في الأخير بهزيمة إبدّوكل [4] .

واستطاعت هذه القبائل الحسانية في النهاية بسط نفوذها السياسي والحربي على بلاد شنقيط ، إذ تقدم أولاد رزك " رزق " وأطاحو بإمارة انيرزك " أنباط الغرب " ، وتمكن البراكنة من القضاء على إمارة بيلكة اللمتونية التي كانت تعمر منطقة البراكنة الحالية ، واتجه المغافرة الآخرون نحو إمارة إدويدر " إدوعيش " وغلبوها ، ثم استطاعت أن تتغلب

1- موسى كمرا : المصدر السابق ، ص ص 51 ،52 .
2- أولاد الناصر : هم ذرية ناصر (وقيل اسمه شهاب) بن مغفر بن أودي ، حماه الله ولد السالم : **تاريخ بلاد شنكيطي** . المرجع السابق ، ص 168 .
3- حماه الله ولد السالم : المرجع السابق ، ص 168 ، 170 .
4 - المرجع نفسه ، ص172 .

هي عليهم جزئيا ، و بعد ذلك زحفت مجموعة أولاد يحيى بن عثمان المغفرية بمساعدة من بني عمومتها البراكنة على آدرار، مقر إمارة إديشلي التي تفككت بعد حروب استمرت خمسين سنة حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري (18 م) [1] .

وكان من نتائج هذا الصراع أن عمق بنو حسان التراتبية الإجتماعية من خلال بنائهم لهرم اجتماعي كانو هم أنفسهم في قمته ، ويأتي في وسطه فئة الزوايا القيمة على الخطط التجارية ، ثم تأتي في أسفل السلم القبائل التي تدفع المغارم (الضرائب الإجبارية) ، وهي آزناكة أو اللحمة [2] ، كما سبق وأن تطرقنا إليها .

وكانت لفظة " العرب " في بلاد شنقيط محتكرة من طرف بني حسان ، فكانوا لا يسمحون بهذه اللفظة لغيرهم ، كالزوايا والطبقة الوسطى منهم (من بني حسان) ، وقد يرقى طرف من عشيرتهم ، فيُدعى الأعلون منهم " عرب " ، ويدعى أبناء عمومتهم المستضعفون " عُريب " بالتصغير[3] .

واستطاع بنو حسان بعد مسار تاريخي معقد نشر لهجتهم العربية الملحونة على كافة البوادي والمدن [4] ، بحيث أصبح جميع الشناقطة اليوم يتحدثون اللهجة الحسانية – العربية [5] ، التي هي مزيج من الفصحى واللهجة العربية المضرية المتأخرة ومن لسان البربر الصحراويين " آزناكة " [6] ؛ فدخلت هذه اللهجة جميع البيوت والخيام ، وحدث امتزاج بين الثروة اللغوية التي جاء بها هؤلاء الوافدون ، والثروة التي تكمن في الروح الإسلامية والعلوم الدينية عند السكان الأصليين ، وهذا ما سهل خلق عملية تكامل بين الطرفين ، إذ كان اللمتونيون (الصنهاجيون) يحتاجون إلى توثيق أصولهم العربية ، فجاءتهم بنو حسان باللغة العربية ؛ وكان هؤلاء في حاجة إلى تجديد معلوماتهم الإسلامية

1- موسى كمرا : المصدر السابق ، ص 62 .
2- حماه الله ولد السالم ، المرجع سابق، ص62 .
3- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 34 .
4- حماه الله ولد السالم : **تاريخ بلاد شنكيطي** .المرجع السابق ، ص192 .
5- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 41 .
6- حماه الله ولد السالم : **تاريخ بلاد شنكيطي** . المرجع السابق ، ص 191 .

ووفرة المعارف الدينية والإلتزام بالشعائر التعبدية ، فصار الأمر مسألة أخذ وعطاء استفاد منها الطرفان [1] .

واختفت بذلك ، تقريبا ، اللهجات البربرية الخالصة (آزناكة) واللهجات البربرية السودانية مثل اللهجة المسماة كلام آزير (الآزيرية) الذي كان منتشرا في مدن القوافل : ولاتة ، تيشيت ، وادان ، شنقيط ؛ وتراجعت كذلك لغة السونغاي التي كانت منتشرة في ولاتة [2] . وتولت القبائل الصنهاجية التي انسلخت من لغتها القديمة تعميم العامية الحسانية و نشرها [3] . و أصبحت اللغة العربية هي لغة التجارة و المعاملات و العبادات ، ثم لم تلبث أن صارت لغة الشارع نفسه [4] .

و نشر بنو حسان أيضا عادات تناقض موروث البربر الصحراوي ، مثل عادة إطالة شعر الرأس بدل حلقه ، و حسر اللثام بدل التزامه ، و هذا ما ساعد على تمييز الركاب الحجية التي بدأت تنطلق دوريا من المدن الصحراوية على نحو مستقل ، بعد أن كانت تندمج في ركاب حج بلاد السودان المسماة الركاب التكرورية [5] .

لقد كان لقبائل المعقل العربية في ظرف وجيز دور في انتشار اللغة العربية ببلاد شنقيط ، و هو الدور الذي ستقوم به المحاضر في سبيل نشر وتعميم اللغة العربية بالبلاد وفي المناطق المجاورة .

1- محمد المختار ولد أباه : المرجع السابق ، ص 16 .
2- حماه الله ولد السالم : **تاريخ بلاد شنكيطي** . المرجع السابق ، ص 192 .
3- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 14 .
4- موسى كمرا : المصدر السابق ، ص 66 .
5- حماه الله ولد السالم : **تاريخ بلاد شنكيطي** ، المرجع السابق ، ص ص 192 ، 193 .

الفصل الثالث

النظام التعليمي في بلاد شنقيط (المحاضر)

أولا : المحاضر : تعريفها ، نشأتها

ثانيا : نظام التدريس في المحاضر

ثالثا : منهاج التدريس في المحاضر

أولا : المحاضر : تعريفها ، نشأتها :

غالبا ماتقترن مراكز العلم والتدريس بالمعاهد والجامعات المشيدة في المدن [1] ، وهو ماذهب إليه ابن خلدون عندما ربط تعليم العلم بالعمران والحضارة ، و أنه لا ينشأ ولا ينمو إلا في المدن ، شأنه في ذلك شأن الصنائع المختلفة [2] ، ولكن عندما نأتي للحديث عن المحاضر نجد عكس ذلك تماما ، إذ تلغي هذه الأخيرة (المحاضر) تلك النظرية و تستبدلها بما يناقضها ، فما المقصود بالمحاضر؟ وكيف نشأت ؟ وماهي سماتها ؟

أ- تعريفها:

المحاضر جمع محضرة ، وهي مؤسسات تعليمية إسلامية نشأت في بلاد شنقيط ، كي تكون أداة لنقل المعارف العلمية ، وإرساء أسس الدين الإسلامي وتعهده بالرعاية [3] . وقد تعددت التعاريف حول المحضرة ، وليس هناك تعريف محدد لها . ومن أشمل التعاريف ما عرفها به الخليل النحوي ، حيث يقول بأنها : **" جامعة شعبية ، بدوية متنقلة ، تلقينية ، فردية التعليم ، طوعية الممارسة "** [4] .

فهي جامعة ، لأنها تقدم للطالب معارف موسوعية في مختلف فنون (مواد) المعرفة الموروثة : القرآن الكريم ، الحديث ، العقيدة ، الفقه ، التصوف ، النحو ، المنطق وغير ذلك ؛ وهي شعبية ، لأنها تستقبل مختلف الفئات العمرية والجنسية والإجتماعية للشعب ، وبجميع مستوياتها [5] .

1- محمد المختار ولد أباه : **الشعر والشعراء في موريتانيا** . دار الأمان ، الرباط ، 1424ه / 2003م، ط2 ، ص28 .

2- عبد الرحمن بن خلدون : **مقدمة بن خلدون** . دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط2 ، 2010 ، ص368 .
3- باب بن الشيخ سيدي الشنقيطي : **إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين** . تحقيق : الطيب بن عمر بن الحسين الجكني ، دار ابن حزم ، بيروت ، 1418 ه / 1997م ، ط1 ، ص34 .
4- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص ص 53 ، 54 .
5- المرجع نفسه ، ص 53 .

وهي بدوية متنقلة ، وهذه من أبرز سماتها [1] ، وفي هذا يقول محمد المختار ولد أباه : **" من الصعب على من لم ير المحاضر أن يتصورها ، ذلك أن البداوة تقترن في الذهن بالغباوة والجهل ، فالثقافة جزء من الحضارة ، ومراكز العلم والتدريس تقترن غالبا بالمعاهد والجامعات المشيدة التي اتصلت شهرتها بشهرة المدن التي تحتضنها ، غير أن المحاضر فريدة من نوعها ، إذ هي بعض أحياء البدو الذين يتبعون المراعي متنقلين من ضفاف نهر السينغال إلى وادي الساقية الحمراء ، تصادف شيخا كسائر البداة ، متقشفا في ملبسه ومظهره ، ولا يمتاز بشيء عن سكان الحي سوى أن ترى أمام بيته مجموعة من الشبان يقل عددها ويكثر حسب الأزمنة ، تسكن تحت الشجر في عريش من خشب وثمام ، وتعيد بناءه كلما ارتحل الشيخ "** [2] .

وهي تلقينية ، لأن العلم فيها يلقن من أفواه الرجال ، وهو ما كان يدعو إليه الشناقطة ، لأنهم لا يثقون في الكتب لاحتمال الخطإ فيها - حسبهم - من طرف المصنف أو الناسخ [3] .

وهي " فردية التعليم " بين الأستاذ والطالب ، فالقاعدة العامة هي أن لكل طالب درسا خاصا [4] ، يختار الطالب بنفسه مادته (من نحو ، فقه ، ...) ، والمقرر الذي يناسب مستواه ، وحجم الدرس الذي يمكنه استيعابه [5] ، فيدرسه شيخ المحضرة بناء على ما اختاره اختاره الطالب ، ويعلمه ويرد على استفساراته ويطمئن إلى أنه استوعب درسه ؛ ومع ذلك فهناك حالات يكون فيها التعليم جماعيا [6] ، وهو ما سيأتي ذكره أثناء الحديث عن كيفية التدريس في المحضرة .

1- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص55 .
2- محمد المختار ولد أباه : المرجع السابق ، ص 29 .
3- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 57 .
4- المرجع نفسه ، ص 58 .
5- محمد المختار ولد أباه : المرجع السابق ، ص 29 .
6- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 59 .

والمحضرة " طوعية الممارسة " ، أي أنها تقوم على أساس من التطوع والمبادرة الحرة ، سواء من طرف المعلم أو المتعلم [1] .

ب- نشأتها :

إن ما ينبغي أن نلفت إليه في البداية ، هو أن المحضرة في أول عهودها في الصحراء لم تنشأ في البادية وإنما كان ذلك في الحواضر ، وقد تم ذلك في عهد المرابطين وفي قرون بعدهم ، بدليل أنه في أيام أبي بكر بن عمر[2] كان اثنان من علماء الدولة يقيمان في حاضرتي آزوكي وآبير (شنقيط القديمة) ، كما تم العثور من قبلهما على آثار بعض الحواضر العتيقة ، مثل أودغست وكومبي صالح [3] ، وتيشيت و وادان ، وربما شنقيط أيضا [4] .

وقد قسم المختار بن حامد في كتابه حياة موريتانيا (الحياة الثقافية) المدارس في موريتانيا إلى نوعين : مدارس قروية ، ومدارس بدوية [5] ، ومن أقدم المدارس القروية يذكر : مدرسة وادان و مدرسة تيشيت و مدرسة شنقيط و مدرسة ولاتة وغيرها [6] .

ومما سبق يستنتج أن الحواضر هي مهد المحاضر ومنطلقها ، ولكن ما ينبغي إبراز حقيقته هو أن المحاضر لم تزدهر وتنتشر ولم تتبلور شخصيتها إلا في رحاب البادية ،

و ليس في المدن [7] .

1- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص59 .

2- هو أبو بكر بن عمر اللمتوني (ت: 480 ه / 1087 م) من زعماء دولة لمتونة الصحراوية ، شارك إلى جانب زعيم المرابطين عبد الله بن ياسين في حركته الإصلاحية كقائد للجيوش المرابطية ، و تولى هو أمر المرابطين بعد استشهاد عبد الله بن ياسين ، خير الدين الزركلي : **الأعلام** . دار العلم للملايين ، ج2 ، بيروت ، ط15 ، 2002 ، ص68 .

3- مدينة مندثرة تقع على مسافة 189 كيلومتر جنوب غربي ولاتة ، كانت عاصمة لدولة غانة القديمة التي تأسست في القرن الثاني الميلادي ، الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص67 .

4- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 66 .

5- المختار بن حامد : **حياة موريتانيا" الحياة الثقافية"** ، الدار العربية للكتاب ، ص197 .

6- المرجع نفسه ، ص ص 198 ، 199 .

7- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 55 .

من المعلوم أن أول معلم عرفته بلاد شنقيط هو عبد الله بن ياسين (ت451 ه)[1] ، ويعتقد أن الرباط الذي أنشأه في إحدى جزر المحيط الأطلسي على بعد 60 كيلومترا شمال غربي نواكشوط [2] ، كان المحضرة الأولى في بلاد شنقيط ؛ وما إن انقضى عهد المرابطين حتى بدأ علماء من البلاد ومن خارجها يؤسسون المحاضر لنشر العلم في حواضر البلاد قبل أن تتلقفها البادية [3] .

لقد ظل نظام التعليم المحضري سائدا في موريتانيا لقرون عديدة ، واستطاع الصمود ضد كل محاولات الغزو الفكري و الإستلاب الأخلاقي من طرف الإستعمار الفرنسي الذي حاول بكل الوسائل محاصرته والتضييق عليه وتهميش دوره الريادي في المجتمع ، حيث كانت الأسر تلزم بتقديم طفل واحد على الأقل من أبنائها للمدارس النظامية الفرنسية ، ولكن الآباء كانوا يهربون أبناءهم بعيدا في الصحراء تجنبا لذلك ، ويرفضون كل وسائل الإغراء والإمتيازات التي تمنحها لهم السلطات الإستعمارية ، الأمر الذي حعل فرنسا – باعترافها – تخرج من موريتانيا دون أن تحقق شيئا يذكر في هذا المجال بالمقارنة مع ما حققته في المناطق القريبة منها [4] .

وهذا ما اعترف به الحاكم الفرنسي لموريتانيا المسمى (ألغريه) في أحد تقاريره عن المحاضر، وقد جاء في هذا التقرير السري رقم 268 – 1550 بتاريخ 1944/12/26 مايلي : **" إن مشكلة التعليم في موريتانيا التي وجدت منذ اليوم الأول للإحتلال ظهرت جد مستعصية ، وفي الوقت الذي وجدنا فيه أنفسنا بالنسبة لبقية المستعمرات في مواجهة بلاد نكرة ، وسكان متعطشين لتقليدنا ، وجدنا أن المقاومة الإسلامية في موريتانيا ضد نمو تأثيرنا عن طريق التربية الفرنسية ، قد ظهرت قوية شديدة ؛ إن البيضان المسلمين منذ قرون ، والذين مازال عندهم فقهاؤهم وعلماؤهم ، لم يجدوا في حضارتنا نفس**

1- المختار بن حامد : **" الحياة الثقافة "** : المرجع السابق ، ص 197 .
2- بعد مقارنات مطولة استنتج " مورايس فارياس" أن الموقع الأقرب احتمالا هو جزيرة تيدرة الواقعة ضمن النطاق الكدالي . عبد الودود ولد عبد الله (ددو) : المرجع السابق ، ص 44 .
3- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص65 .
4- باب بن الشيخ سيدي الشنقيطي : المصدر السابق : ص ص 34 ، 35 .

الإعجاب عند الدول الأخرى ؛ والأكثر من ذلك ، أن موريتانيا كانت منطقة تمثل فيها الثقافة أعلى مراتب المجد ، وعلى ذلك تبرهن مدارس عديدة ومكتبات مهمة من بينها مكتبة شنقيط التي مازالت تعد سبعة آلاف مجلد " [1] .

1- باب بن الشيخ سيدي الشنقيطي : المصدر السابق ، ص 35 .

ثانيا : نظام التدريس في المحاضر :

لقد سبق وذكرنا أن من سمات المحضرة أنها تقوم على التعليم الفردي في الغالب ، أي بين شيخ المحضرة أو " المرابط " ، والطالب .

وشيخ المحضرة هو شيخ كسائر البداة ، متقشف في ملبسه ومظهره [1] ، إلا أنه يتميز بعلمه الغزير ، فهو إما أن يكون مختصا في بعض المعارف (الدينية واللغوية خاصة) أويكون موسوعيا متبحرا في العلم ، وإليه أو لأسرته تنسب المحضرة [2] .

وفيما يخص الدروس التي يقدمها الشيخ للطالب ، فهي تكون بناء على ما اختاره هذا الأخير ، فلكل طالب درسه الخاص به ينتقيه بنفسه [3] ، وهو الذي يختار كذلك أي معلم ، وأي موضوع ، وأي وقت للدرس ، وليس على المعلم إلا تفسير النص ، و إعطاء الأمثلة عليه[4] .

إلا أن هناك حالات يكون فيها التعليم جماعيا ، وهي نادرة ، و تتمثل في حالتين اثنتين هما :

- الأولى : أين يتم تقديم الدروس في حلقة مفتوحة يحضرها من شاء من الطلبة ، و كثيرا ما يتابع فيها الطلبة دروس زملائهم أو بعضها ، فتكون تكرارا لهم لما درسوه و إعدادا لهم فيما ينوون دراسته من بعد.

- الثانية : و هي التعليم الزمري أو نظام " الدولة " بلغة المحضرة ، و هو دراسة جماعية ، تضم الطلبة متقاربي المستويات ، الذين يتفقون على اختيار متن واحد لدراسته في حصة واحدة ، و يتعاونون على تكراره و استظهار معانيه [5] .

1- محمد المختار ولد أباه : المرجع السابق ، ص29 .
2- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص57 .
3- المرجع نفسه ، ص 58 .
4- المختار بن حامد : **" الحياة الثقافية"** : المرجع السابق ، ص 197 .
5- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 59 .

و أما عن الوضعية أو الهيئة التي يكون عليها المدرس أو شيخ المحضرة أثناء إلقائه للدرس فهي غير ثابتة ، إذ يقول أحمد بن الأمين : **" فتراه يدرس مرة ماشيا مسرعا ، و مرة جالسا في بيته ، و مرة في المسجد ، و منهم من يدرس في أثناء الإرتحال من جهة إلى أخرى ، سواء كان ماشيا أو راكبا ، و قد يكون راكبا و الطلبة يمشون على اقدامهم في ناحيته "** [1] .

فتجده مرة يفسر نصا من مختصر خليل ثم ينتقل مباشرة إلى باب من ألفية ابن مالك في النحو ، ثم في التوحيد ، ثم إلى أبيات من معلقة امرئ القيس ... و هكذا ؛ وعندما يحل الليل ترتفع أصوات الطلبة بالتكرار و المناظرة و الإستذكار[2] .

ويعتمد التعليم عند الشناقطة اعتمادا أوليا على الذاكرة و المشافهة ، فهم لا يعدون علما إلا ما حصل في الصدور فوعته الذاكرة متنا ومعنى . ومما يؤثر في ذلك أن قبيلة " تجكانت " كانت فيها 300 فتاة تحفظ موطأ الإمام مالك ، كما كان الطفل في قبيلة " مدلش " يحفظ المدونة ، وهي أضخم مرجع في الفقه المالكي ، قبل البلوغ [3] .

1- أحمد بن الأمين الشنقيطي : المصدر السابق ، ص519 .
2- محمد المختار ولد أباه : المرجع السابق ، ص29 .
3- المختار بن حامد : **" الحياة الثقافية "** المرجع السابق ، ص5 .

ثالثا : منهاج الدراسة في المحضرة :

لم يكن هناك منهج دراسي ثابت يلتزمه طلبة المحضرة ، و إنما كانت لهم فنون هي جل ما يقرأون ، و قد يغيرون في الترتيب فيها من منطقة إلى منطقة ، و من محضرة إلى محضرة ، و من طالب إلى طالب [1] .

و أما المقررات الدراسية ، فهي :

1- علوم القرآن الكريم .
2- الحديث و مصطلحاته .
3- العقيدة .
4- الفقه .
5- السيرة و الأنساب .
6- اللغة العربية .
7- النحو و الصرف .
8- العروض و القوافي .
9- البلاغة و المعاني .
10- المنطق .
11- الحساب العددي .
12- الفلك و الجغرافيا .
13- الطب و خصائص الأشياء .
14- التصوف .
15- الآداب الإجتماعية [2].

1- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 212 .
2- المرجع نفسه ، ص ص 213 ، 214

و تتم الدراسة في المحضرة على ثلاث مراحل ، و هي :

- المرحلة الأولى : وهي مرحلة ابتدائية ، وفيها يتم تعلم الحروف الأبجدية ، ثم حفظ القرآن الكريم ، ومعرفة رسمه وضبطه وتجويده بقراءة الإمام نافع بروايتي قالون و ورش . وتبدأ هذه المرحلة من سن الخامسة إلى سن البلوغ [1] .

- المرحلة الثانية : و تسمى فرض العين ، و فيها يدرس الطالب متونا في الضروري من العلوم ، مثل منظومة ابن عاشر و الأخضري ، كما يدرس أساسيات في النحو ، ثم يدرس المعلقات تمهيدا لدراسة أكثر عمقا و توسعا .

- المرحلة الثالثة : وهي بمثابة المرحلة الجامعية ، فتدرس فيها أهم المتون المتداولة في المنطقة ، كرسالة ابن أبي زيد القيرواني ، و عقائد السنوسي في العقيدة ... وفي الفقه : رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، و مختصر خليل بن إسحاق ، و تحفة الحكام لابن عاصم ، و الكفاف لمحمد مولود بن أحمد فال الشنقيطي ، و في أصول الفقه : جمع الجوامع لتاج الدين عبد الوهاب السبكي ، و مراقي السعود لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي ، و في النحو ألفية بن مالك ، وغيرها .[2]

والملاحظ في هذه الفنون (المواد) عدم وجود مادة العلوم والرياضيات من ضمنها ، ويقول محمد المختار ولد أباه أن هذه الظاهرة تفسرها طبيعة البلاد ؛ فحياة البادية – حسبه – لا تحتاج إلى صناعة ولا إلى هندسة ، ويكفي العالم من علم الحساب ما يعرف به كيفية قسمة الفرائض على أهل السهام في أحكام المواريث ، ولذلك يعتبرونه علم شهر .

ويضيف قائلا : **" وإن لم نجد في هذه** (أي المواد) **ذكرا للتاريخ والجغرافيا ، فهذا لا يعني أن العلماء في ذلك العهد ليس لهم اهتمام بكتب التاريخ والسير والرحلات "** [3].

1- باب بن الشيخ سيدي الشنقيطي : المصدر السابق ، ص 39 .
2- باب بن الشيخ سيدي الشنقيطي : المصدر السابق ، ص 40 .
3- محمد المختار ولد أباه : المرجع السابق ، ص32 .

كان هناك نوعان من المحاضر في بلاد شنقيط ؛ فمنها ما كانت متخصصة في فنون مستقلة ، كمحاضر تجكانت ومسومة التي اشتهرت باختصاصها في علوم القرآن ، أومحاضر قبيلة اجبجبة التي اختصت بالدراسات الفقهية ، أو محضرة عبد الودود بن عبد الله التي كان اختصاصها في علوم اللغة والنحو والصرف [1] .

ومن المحاضر ما كان موسوعيا يعنى بتدريس مختلف الفنون ، ويوفر تعليما جامعيا متنوعا لطلبته ؛ وقد كانت محضرة المختار بن بونة مختصة في النحو ، لكنها برزت أيضا في العقائد (علم الكلام) والفقه [2] .

لقد استمد الشناقطة العلوم والمعارف والكتب والمقررات الدراسية من المشرق والمغرب ، وبخاصة من مكة والمدينة ومصر والقيروان و مراكش وفاس وغيرها من الحواضر التي يمر بها الركب الشنقيطي أثناء رحلته إلى الحج [3] .

ويظهر الأثر المشرقي عند الشناقطة في القراءات والتصوف والعقائد والنحو وغيرها ؛ ففي القراءة إمامهم نافع قارئ المدينة ، ومذهبهم في الفقه هو مذهب مالك إمام دار الهجرة ، ومعتمدهم في النحو والتصريف آراء نحاة البصرة والكوفة ، ومنتوجهم الأدبي يركن في بعض نماذجه إلى شعراء بني أمية وبني العباس ، وتصوفهم يلوذ في أحيان كثيرة بتقاليد أئمة التربية والسلوك في بغداد كعبد القادر الجيلاني ، كما أن الشناقطة يعتنون كثيرا بأشعار البوصيري ، ويميلون إلى المؤلفات المصرية كمختصر خليل [4] ، وكان لهم إقبال شديد على أحفاد شارحي المختصر ، مثل علي بن محمد بن عبد الرحمن الأجهوري ، ومن أهم المسندين المصريين الذين كثر عنهم أخذ الشناقطة نذكر زكريا الأنصاري وخالد الأزهري وناصر الدين اللقاني ... وغيرهم ؛ كما كانوا يحرصون على

1- المرجع نفسه ، ص 29 .
2- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 211 .
3- محمد الظريف : " جوانب من إسهام الرحالة الشناقطة في تثبيت التواصل الثقافي بالمشرق والمغرب" ، **أبحاث ندوة الرحالة العرب والمسلمين** إكتشاف الذات والآخر ، دورة الجزائر ، 2005 ، ص 153 .
4- المرجع نفسه ، ص153 .

التبرك بالشيخ محمد البكري الصديقي وخلفائه . وكانت لهم مع المرتضى الزبيدي مراسلات وتدبيجات وتلقوا منه الإجازة [1].

كما كانت الحواضر العلمية في المغرب الأقصى مركز جذب للشناقطة ، مثلما يظهر من تردد أسماء المسندين المغاربة من أمثال عبد الرحمن بن القاضي وأحمد العطار وأحمد الجرسيفي ، وكان لبعض الشيوخ المغاربة تأثير خاص جذب إليهم الكثير من الشناقطة ، ومن هؤلاء محمد بن ناصر وأحمد بن محمد بن ناصر الدرعيان وأحمد الحبيب اللمطي السجلماسي ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي ؛ وقد ازداد الإقبال على الأسانيد المغربية ، لاسيما خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين [2].

يرى الدكتور محمد المختار بن أباه أن حركة الثقافة في بلاد شنقيط انطبعت أساسا بطابع أندلسي مغربي . ويستعرض كدليل على ذلك المصنفات المتداولة ، ففي علوم اللغة والنحو نجد نظم ابن آجروم وألفية ابن مالك وكتب ابن حيان وشرح الأعلم الشنتمري للشعراء الستة الجاهليين ، وفي علوم القرآن نجد كتب الشاطبي و الداني مرجعا في فن القراءات والتجويد ، ونجد في التفسير أحكام ابن العربي وتفسيري القرطبي وابن عطية ، والكتاب المتداول في التاريخ هو نظم ابن الخطيب المعروف برقم الحلل ، وفي الفقه نجد نظم ابن عاشر ورسالة ابن أبي زيد القيرواني [3].

لقد أدت المحاضر دورا كبيرا من أجل نشر الثقافة العربية الإسلامية بكامل الصحراء و حتى في منطقة غرب إفريقيا ، و من أجل الحفاظ على قيم المجتمع الإسلامي آنذاك ، وذلك بصمودها أمام المخاطر المحدقة بها و في مقدمتها الإستعمار .

1- عبد الودود ولد عبد الله (ددو) : المرجع السابق ، ص ص 74 ، 73 .
2- عبد الودود ولد عبد الله (ددو) : المرجع السابق ، ص ص 73 ، 74 .
3- محمد المختار ولد أباه : المرجع السابق ، ص ص 33 ، 34 .

الفصل الرابع

دور بلاد شنقيط في نشرالثقافة العربيةالإسلامية في الصحراء الكبرى وجنوبها

أولا :دور بلاد شنقيط في نشر الإسلام في إفريقيا الغربية

ثانيا : دورها في نشر المذهب المالكي

ثالثا : دور بلاد شنقيط في حركة التأليف

أولا : دور بلاد شنقيط في نشر الإسلام في إفريقيا الغربية :

مرحلة الدعوة :

من بين أشهر الحملات الإسلامية الأولى التي وصلت بلاد السودان ، تلك التي قادها حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع – كما سبق وأشرنا – سنة 734م ؛ وفي عهد ولايته لإفريقية ابتداء من سنة127هـ/ 745م ، اختار أن يكون النهج الذي يحكم سياسته تجاه الصحراء وبلاد السودان سلميا ، فأمر بحفر الآبار على طول أهم الطرق التجارية التي كانت تربط بلاد المغرب بالصحراء ثم ببلاد السودان ، مما أدى إلى تدفق أعداد هامة من المهاجرين العرب إلى تلك المناطق لتحقيق أغراض شتى ، أهمها ممارسة التجارة والدعوة إلى الإسلام ، فتشكلت جاليات عربية إسلامية كبرى في مناطق عديدة من صحراء الملثمين وفي المدن التجارية الكبرى ببلاد السودان ، مما أفسح المجال لهذه الجاليات لنشر الإسلام هناك [1] .

وقد كان من التجار العرب والصحراويين بصفة خاصة ، الذين توغلوا في بلاد السودان بدافع الحصول على الأرباح أولا ، واستقروا في المدن ، أن ظلوا ملتزمين بتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية ؛ فكانوا حريصين على الصدق في أقوالهم والنزاهة في معاملاتهم التجارية ، مما استرعى انتباه السكان المحليين ، و جعل البعض منهم يدخل في هذا الدين ؛ وكان التجار السوننكيون هم أول وأكثر السودانيين اتصالا بجاليات التجار العرب والبربر في المدن التجارية الكبرى بغرب إفريقيا ، كما كانوا يرافقون القوافل كأدلاء ومترجمين في مختلف المناطق السودانية ، ويعملون أيضا لحساب كبار تجار الشمال في المناطق التي لا يمكن لأولئك الأجانب وصولها لأسباب مناخية وأمنية [2] .

1- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص298 .
2- المرجع نفسه ، ص298 .

ولم تكن مسؤولية نشر الإسلام في غرب إفريقيا على عاتق التجار فحسب ، وبشكل عفوي ، بل إن تلك الجاليات الإسلامية المتواجدة في المناطق السودانية كانت تضم إلى جانب التجار العارفين والراغبين بالقيام بالدعوة إلى الإسلام بالموازاة مع أنشطتهم التجارية مجوعات من العلماء والفقهاء المتفر غين لنشر الإسلام والدعوة . وبالتالي ، فقد بدأت مرحلة جديدة هي مرحلة الدعوة [1] .

وكانت توجد جاليات كبرى أساسا في العواصم، مثل تلك التي كانت حاضر ة في عاصمة غانة على امتداد قرون قبل الإسلام رسميا ، وقد تحدث عنها البكري حيث قال : "... **ومدينة غانة مدينتان سهليتان ، إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون ، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدها يجمعون فيه ، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون و فيها فقهاء وحملة علم ... وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس حكم الملك** ..." [2] ، كما كانت هناك جاليات أخرى مماثلة ، ولو أنها أصغر حجما في تكرور وسلى وكوغة وكوكو وغيرها من المناطق السودانية [3] .

لقد كان الدعاة من تلك الجاليات يتوجهون بالدرجة الأولى إلى الملوك و رؤساء العشائر والطبقة الأرستقراطية عموما ؛ فكانوا يستقرون بالقرب منهم ، ويعملون على إقناعهم باعتناق الإسلام ، ويحرصون على تربية أبناء هؤلاء الملوك و الرؤساء وفقا لتعاليم الشريعة الإسلامية [4] .

1- الناني ولد الحسين ، ص 300 .
2- البكري : المصدر السابق ، ص175 .
3- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص300 .
4-Raymond Mauny : **Tableau géographique de l'Ouest africain au Moyen Age** . Ifan , Dakar , 1961 , p42 .

ومن بين أهم ملوك إفريقيا الذين أسلموا في هذه المرحلة نذكر على سبيل المثال ملك السونغاي " زاكسي " ، الذي يذكره السعدي بأنه أسلم سنة 400 هجرية (1010 م) ولقب ب " مسلم دم " والذي يعني في لغتهم " أسلم طوعا بلا إكراه "[1] ، كما نذكر أيضا ملك التكرور " وارجابي بن رابيس " الذي أسلم بعد توليه الحكم ، حيث يذكره البكري أثناء حديثه عن مملكة التكرور وسكانها ، فيقول : "... **وكانوا على ماساير السودان عليه من المجوسية و عبادة الدكاكير، والدكور عندهم الصنم ، حتى وليهم وارجابي بن رابيس فأسلم و أقام عندهم شرائع الإسلام وحملهم عليه و حقق بصائرهم فيها ؛ و توفي وارجابي سنة اثنتين وثلاثين و أربع مائة** ... " [2] ، ونذكر أيضا ملك مالي ، الذي يورد البكري سبب دخوله في الإسلام ، وذلك على يد أحد الدعاة المستقرين في حاضرة السلطان بعد أن اشتكى له حال بلاده ، ولما دخل هذا الملك في الإسلام أمر بكسر الدكاكير و إخراج السحرة من بلاده وصح إسلامه وإسلام عقبه وخاصته ، وأهل مملكته مشركون ، فسموا ملوكهم مذ ذاك بالمسلماني [3] .

وعموما ، فإن الإسلام استطاع أن ينفذ إلى منطقة غرب إفريقيا نتيجة للدور الذي قام به التجار والدعاة (من صحراء الملثمين) ، ولكنه لم يكن يمس إلا الطبقة الأرستقراطية فقط من الملوك و رؤساء العشائر ومحيطهم البشري، دون أن يتغلغل إلى أوساط السكان[4] .

مرحلة الجهاد :

على الرغم من أن إسلام الملثمين في الصحر اء ظل سطحيا حتى منتصف القرن 5 هـ/ 11م تاريخ ظهور حركة المرابطين ، إلا أن المصادر تشير إلى أن هنالك جهودا قد

1- السعدي عبد الرحمن: المصدر السابق ، ص3 .
2- البكري : المصدر السابق ، ص172 .
3- المصدر نفسه ، ص178 .
4-Mauny (R.) : op.cit , p 425 .

بُذلت في سبيل نشر الإسلام في بلاد السودان من طرف ملوك صنهاجة ، و ذلك منذ القرن 3 هـ / 9م . ومن هذه المصادر مثلا ابن الخطيب أثناء حديثه عن قبائل صنهاجة ، إذ يقول : " **... و كانوا على السنة و الجماعة يجاهدون السودان ، و كان أول ملوكهم يرلونان**[1] **اللمتوني ، وهو ملك عظيم دان له من ملوك السودان واتقوه بأداء الجزية أزيد من عشرين ملكا ... إلى أن توفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين ...** "[2] .

ومع ذلك ، فإنه لا يمكن الحديث عن جهاد مستمر يستهدف نشر الإسلام في المنطقة إلا ابتداء من قيام حركة المرابطين .

و هكذا ، فبعد أن استأصل الأمير أبو بكر بن عمر شوكة برغواطة في الشمال وأخضعها لسلطانه ، عاد إلى الصحراء لإصلاح أحوال القبائل المتصارعة هناك ، مفوضا أمر المغرب إلى يوسف بن تاشفين وذلك في سنة 453 هـ ، وفي هذا يقول ابن خلدون : "... **وبلغه وهو لم يستتم فتح المغرب بعد ، ما وقع من الخلاف بين لمتونة ومسوفة ببلاد الصحراء ، حيث أصل أعياصهم ووشائج أعراقهم ومنيع عددهم ، فخشي افتراق الكلمة وانقطاع الوصلة ، وتلافى أمره بالرحلة ...** "[3] .

وبعدما تمكن أبو بكر بن عمر من إخماد الفتنة بين القبائل المتصارعة ، فتح بابا من جهاد السودان فاستولى على نحو مسيرة ثلاثة أشهر من بلادهم [4] .

1- وعند ابن أبي زرع تيولوثان بن تيكلان ، الأنيس المطرب : المصدر السابق ، ص76 .
2- ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص384 .
3- ابن خلدون : **العبر** ، ج6 ، ص244 .
4- المصدر نفسه ، ص245 .

لم تكن العلاقة طيبة بين مملكة غانة وجيرانها الملثمين ، إذ كانت المنازعات تطبع ذلك بينهما ، وكثيرا ما كان يعتدي كل طرف على أراضي الطرف الآخر . فكان هدف أبي بكر الرئيسي هو تكريس جهوده للإستيلاء على غانة ، و إخضاعها لسلطة المرابطين[1] .

لقد كانت الظروف مناسبة له لإعلان الجهاد ضد امبراطورية غانة ، إذ كانت هذه الأخيرة في بداية تفكك سياسي أثناء تلك الفترة ، تمثل في محاولة بعض الأقاليم والممالك التي كانت تابعة لها الإنفصال و الثورة ضد الحكم الإمبراطوري ، ومع ذلك فقد تمكنت من الصمود أمام محاولات المرابطين لفترة طويلة ، إذ لم يتم لهم هزيمتها ودخول عاصمتها كونبي إلا بعد 14 سنة من الحروب [2] ، و ذلك بعدما تم الإستيلاء على مدنها الواحدة تلو الأخرى من طرف المرابطين ، وكان سقوط العاصمة في أيديهم سنة 469 هـ /1076م [3] .

وقام الأمير أبو بكر ببناء الرباطات والمساجد ، فكثر عدد الداخلين في الإسلام ، وترك أمر امبراطورية غانة لابنه أبي يحيى كي يتابع نشر الإسلام بها ، بينما واصل هو فتح بلاد السودان حتى وصل بلاد وانقارة [4]حيث مناجم الذهب [5] ؛ ويذكر ابن أبي زرع ما وصل إليه الأمير أبو بكر بقوله : " ... **استقام له أمر الصحراء إلى جبل الذهب من بلاد السودان** ... " [6] .

1- دندش عصمت : المرجع السابق ، ص ص 111 ، 112 .
2- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص307 .
3- عصمت دندش : المرجع السابق ، ص112 .
4- مجموعة سوداء انضمت في وقت غير معروف إلى شعب مالي الطي كان تحت سيطرة إمبراطورية غانة و اندمجوا معه ، لكنهم بقوا محتفظين بهويتهم ، و قد كان الوانقارة في بداية أمرهم عبيدا لملوك غانة ، نور الدين شعباني : **محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي** ، دار الجزائر ، االجزائر ، 2015 ، ص ص 22 ، 23 .
5- عصمت دندش : المرجع السابق ، ص112 .
6- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص87 .

و كان لنجاح أبي بكر هذا من الأثر، أن تمكن من السيطرة على حقول الذهب الغنية ، والتي تعتبر أهم مصادر الثروة في السودان في تلك الفترة ، كما ازدادت هجرات قبائل المرابطين إلى تلك الأنحاء ، مما أدى إلى اختلاطها بسكان المنطقة ، وبالتالي ازداد عدد الداخلين في الإسلام [1] .

ثم سلم المرابطون المشعل إلى المسلمين السودانيين ، وبقوا بجانبهم يساعدونهم ويحثونهم على جهاد الوثنيين ، وأصبح ملوك السودان بدورهم يعملون على نشر الإسلام بالمناطق التي يضمونها إليهم [2] .

ورغم هذا كله ، فإن هناك شعوبا سودانية ظلت متمسكة بوثنيتها مثل شعب الموسي الذي بقيت مملكته صامدة في وجه المرابطين ، ولم يخترقها الإسلام إلا خلال فترات متأخرة[3]؛ بل إن بعض الجماعات السودانية التي دخلت في الإسلام بقيت تحافظ على بعض العادات الوثنية ؛ و استمرت تلك المظاهر تميز الإسلام السوداني إلى وقت قريب ، ولم يتم القضاء على تلك العادات الوثنية ، إلا بمواصلة هؤلاء السودانيين تعلم العلوم الشرعية عن طريق جهود الفقهاء الصحراويين ، الذين كانوا يقيمون في المدن والقرى السودانية لتحقيق ذلك الغرض ، فضلا عن الدور الذي كانت تقوم به مراكز الإشعاع الثقافي الصحراوية في آزوكي ، و تينيكي ، و و لاتة ، و تيشيت وغيرها ، في نشر المعارف الإسلامية بين السودانيين ، الذين كانوا يفدون إليها للتعلم و العودة إلى بلدانهم بعد تخرجهم على أيدي الفقهاء بتلك المراكز ، ليتحولوا بدورهم إلى معلمين في أوطانهم ؛ و قد اتخذت العديد من

1- عصمت دندش : المرجع السابق ، ص ص 114 ، 115 .
2- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص309 .
3- Mauny (R.): op.cit , p 525.

الجماعات السودانية اللغة العربية لغة للتو اصل و التفاهم بين المجموعات الإثنية التي لكل منها لغتها الخاصة في غرب إفريقيا [1] .

و استمر دور بلاد شنقيط في نشر الإسلام في منطقة غرب إفريقيا إلى مابعد مرحلة المرابطين ، و ظل حضور الشناقطة وتأثيرهم يتنامى في المناطق الإفريقية على مر القرون.

وكان للمحاضر كبير الدور في نشر الإسلام و العلم في تلك المناطق من إفريقيا ؛ وقد تربى الكثير من العلماء و المجاهدين و من أعيان الأفارقة في تلك المدارس ، فكان منهم من قدم البلاد و تعلم على أيدي علمائها ، أو عن طريق علماء شناقطة جالوا بأنفسهم في أقطار الأفارقة أو انتدبوا من ينوبهم للدعوة للإسلام و نشر العلم بها [2] .

و قد تلقى زعيم دولة الأئمة في فوتا ، الإمام عبد القادر، العلم عن مرابطة شنقيطية هي الشيخة خديجة بنت العاقل ؛ و كان للحارث بن محنض الشقروي ، الفضل في نشر العلم في منطقة فوتا جالون ، فأخذ عنه عدد من علماء تلك المنطقة مثل الحاج أحمد مختار ساخو ، و أحمد مختار آن و آخرون [3] .

كما كان للطرق الصوفية دور كبير في نشر الإسلام في إفريقيا الغربية وتدعيمه بها ، فقد أدخل سيدي مولود فال الشنقيطي التيجانية إلى السينغال و لقنور دها للحاج عمر تال زعيم دولة فوتا ، الذي قام بدوره ،ببث تعاليم الطريقة وإذاعتها ، فانتشرت في غرب إفريقيا [4] ؛ كما انتشرت التيجانية في السينغال أيضا على يد الحاج مالك السينغالي (ت: 1340) ، و على يد الشيخ الحاج عبد الله نياس (ت:1340) ، و ابنه الشيخ

1- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص310 .
2- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص 266 .
3- المرجع نفسه ، ص266 .
4- عبد الله ولد بن احميدة : المرجع السابق ، ص54 .

إبراهيم الكولخي[1] ، الذي بلغت هذه الطريقة أوج انتشارها على يده و أيدي مريديه من الشناقطة ، خصوصا مع الشيخ الهادي بن سيدي مولود فال ،الذي نشر ها و معارفها في نيجيريا ، كما امتد نفوذ الشيخ حماه الله إلى مالي و ساحل العاج وغينيا وغيرها [2] .

و إلى جانب ذلك ، فقد أخذ أحمد بمبا القادرية عن الشيخ سيديا في تندوجة ، و تلقى منه العلم هناك [3] ؛ و امتد نفوذ الشيخ سيديا إلى غاية السينغال وغينيا[4] ، و كان مقدموه (ممثلوه) ينشطون بأماكن عديدة من غرب القارة في سان لويس ، و ديمار، و بودور، و فوتا و غيرها [5] ؛ كما كان نفوذ الشيخ سعدبوه يتركز أكثر في المناطق الإفريقية في السينغال و غينيا [6] ، و كان له الآلاف من التلاميذ في كل من مقاطعات فوتا و الجولوف و الكايور و غامبيا و الكازامانس [7] .

و اتسع نفوذ الشيخ التراد بن العباس ليصل إلى مالي وكازامانس وغينيا و سيراليون ، وكان يتلقى مراسلات و مندوبين من طرف زعماء تلك المناطق ، فيتعرضون للتفتيش من قبل السلطات الإستعمارية ، وقراءة البريد الذي يحملونه [8] .

1- المختار بن حامد : " **الحياة الثقافية** " ، المرجع السابق ، ص94 .

2- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص123 .

3- المرجع نفسه ، ص 266.

4-Maty (P.) : **Etudes sur l'Islam Maure** , op.cit , p 56 .

5-Le Chatelier : op.cit , p 326 .

6 -Marty(P.) :**Etudes sur l'Islam maure…**op.cit , p 162 .

7-Ibid , p 168 .

8- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص267 .

وقد قام بالدور الكبير في نشر الإسلام والتعليم رجال من الأسر الكنتية والفاضلية ومن العلويين و آل الشيخ سيديا ، فضلا عن الشيخ أحمد حماه الله الذي تصدى للإستعمار ، فالتف حوله الآلاف من الأفارقة من شتى الأقطار[1] .

و قد كان لمشايخ العلويين دور في خدمة الإسلام بغرب إفريقيا مثل الشيخ محمد الحافظ ومحمدي بن سيدينا الملقب بذي ، و سيدي مولود فال و محمد المختار بن أحمد فالو أحفادهم، إذ أن أكبر الطوائف التيجانية في مطلع القرن العشرين ، أتباع الشيخ عمر الفوتي، و أتباع الحاج مالك سي ، يدينون بالتلمذة لهؤلاء المشايخ ، و ذلك لأخذهم عنهم مباشرة أو عن طريق مشايخهم و آبائهم الذين تتلمذوا عندهم ؛ و هاتان الطائفتان تنتشران في السينغال ومالي و غرب إفريقيا عامة [2] .

1- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص266 .
2- المرجع نفسه ، ص268 .

ثانيا : دورها في نشر المذهب المالكي :

انتقل المذهب المالكي ، الذي ساد في الحجاز مهد ظهوره ، إلى المغرب الإسلامي، ولقي انتشارا واسعا في هذه البلاد ، حتى أصبح هو المذهب السائد فيها ، و هذا لما عرف عن إمامه من تمسكه بنصوص و تشريعات الكتاب و السنة [1] .

وكما هو معلوم ، فإن دخول المذهب المالكي إلى شمال إفريقيا كان في فترة مبكرة من تاريخه ، و في حياة صاحبه (مالك) نفسه ، و ذلك على يد تلامذته من تلك المنطقة [2] ، حيث يقول القاضي عياض : " **و أما إفريقية و ما وراءها من المغرب ، فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين ، إلى أن دخل علي بن زياد ، و ابن أشرس ، و البهلول بن راشد ، وبعدهم أسد بن الفرات و غيرهم ، بمذهب مالك** " [3].

و أما المغرب الأقصى فقد وصله المذهب المالكي مع دخول الإمام الشريف " إدريس بن عبد الله " مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب سنة 173 هـ / 789 م ، الذي عرف بحبه و تقديره للإمام مالك بن أنس ، و ذلك لمناصرة الأخير للنفس الزكية ومعارضته للخليفة العباسي المنصور ؛فعمل إدريس على نشر المذهب و تحجيم مذهبي الخوارج و المعتزلة الشائعين آنذاك في البلاد ، وكان يقول : " نحن أحق باتباع مذهب مالك و قراءة كتابه " [4] .

1- سحر عنتر محمد أحمد مرجان : **فقهاء المالكية و آثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي و صنغي (628- 1000 ه / 1230- 1591 م)** . مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1432 ه / 2001 م ، ط1 ، ص24 .

2- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص238 .

3- القاضي عياض : المصدر السابق ، ج1 ، ص25 .

4- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص185 .

و ترجع الصلة الفعلية للشناقطة بالمذهب المالكي إلى القرن الخامس الهجري ، و ذلك عن طريق عبد الله بن ياسين (ت: 451 هـ) ، عندما وفد على قبائل الملثمين و أسس الرباط الذي يعتبر المدرسة الأولى في بلاد شنقيط [1] .

و قد اشتهر ابن ياسين بتضلعه في المعارف الإسلامية ، وخصوصا مايتعلق منها بالفقه المالكي ، و كان قد اتجه إلى الأندلس في فترة شبابه ، و بقي فيها مدة سبع سنين أمضاها في التعلم ، فأخذ عن أشهر علمائها آنذاك ، ثم عاد إلى المغرب الأقصى ، و بذلك يكون قد نهل من المشربين الأساسيين للثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإسلامي في تلك الفترة ، ألا وهما المدرسة المالكية القيروانية عن طريق اتصاله بوجاج بن زلو ، و المدرسة الأندلسية [2] .

و قد أخذت دولة المرابطين منذ تأسيسهابالمذهب المالكي بجد وعناية ، و عملت على تعميم انتشاره و توطيد أركانه بجميع البلاد التي حلت بها [3] . و من أهم الأسس التي قامت عليها هذه الدولة : مبدأ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ؛ و هو مبدأ إسلامي عظيم لا خلاف في وجوبه بين المسلمين [4] .

وكان فقهاء المالكية في المغرب الإسلامي أكثر الناس أداء لهذا المبدأ ، وهم بذلك يتمثلون قول الإمام مالك " حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئا من العلم و الفقه أن يدخل إلى كل ذي سلطان يأمره بالخير و ينهاه عن الشر ، و يعظه حتى يتبين .

1- الطيب بن عمر بن الحسين الجكني : المرجع السابق ، ص50 .
2- الناني ولد الحسين ك المرجع السابق ، ص226 .
3- الطيب بن عمر بن الحسين الجكني : المرجع السابق ، ص50 .
4- الطيب بن عمر بن الحسين الجكني : " السلفية و أعلامها في موريتانيا " . **رسالة دكتوراه** ، كلية الدعوة و أصول الدين ، فرع العقيدة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، د.ت ، ص170 .

وعلى خطى فقهاء القيروان وغيرهم من فقهاء المالكية في المغرب ، سار عبد الله بن ياسين ، و أخذ في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، بل و أسس دولة تقوم على هذا المبدأ [1] .

و اعتمد المرابطون على فقهاء و علماء المالكية و أشركوهم في تسيير شؤون الدولة ، و حثوهم على تدريس كتب المذهب ، كما خصصوا للطلبة مصروفات من بيت مال المسلمين ، فكان لإجلالهم للعلماء أن جذب إليهم الكثير من فقهاء المذهب من شتى مناطق المغرب ، و هو ما ساعد على خلق جو مناسب لقيام حركة علمية هناك ، و هذا بعد أن قضوا على المذاهب الأخرى ، مثل ما فعلوا بأتباع الفرقة البجلية الشيعية بتارودانت[2] ، حيث قاتلهم الأمير أبو بكر بن عمر و عبد الله بن ياسين حتى فتح هذا الأخير مدينتهم عنوة وقتل فيها من الروافض خلقا كثيرا ، فرجع من بقي منهم إلى السنة ؛ و ما فعلوه أيضا بقبائل برغواطة التي دخل معها عبد الله بن ياسين و أبو بكر بن عمر في حروب انتهت بإذعانها لعبد الله بن ياسين و إسلامها إسلاما جديدا[3] ؛ و غير ذلك من جهود المرابطين في القضاء على الديانات و المذاهب المخالفة للسنة بالمنطقة .

و بهذايكون المرابطون قد تمكنوا من تحقيق الوحدة المذهبية في المغرب الإسلامي ، بعد فشل الفرق الإسلامية المتطاحنة آنذاك ، كما قاموا بتعميق الدين الإسلامي بصفة عامة في المنطقة ، والمذهب المالكي بصفة خاصة بين أوساط العامة في المغرب وبين فئات واسعة من سكان غرب إفريقيا [4] .

1- الطيب بن عمر بن حسين الجكني ، ص ص 173 ، 174 .
2- الناني ولد الحسين : المرجع السابق ، ص240 .
3- ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ص 82 ، 83 .
4- سحر عنتر محمد أحمد مرجان : المرجع السابق ، ص45 .

وبعد دخول مختصر خليل بن إسحاق المالكي المصري إلى البلاد ، أصبح يحظى بعناية كبيرة لدى الفقهاء وتركز عليه التدريس و القضاء و الفتيا ، و أصبح الحق عند الكثير منهم منحصرا فيما تضمنه هذا المختصر ، وشاعت على ألسنتهم عبارة شهيرة ، هي قولهم : " نحن خليليون ، فإن ضل ضللنا و إن اهتدى اهتدينا " ؛ وأصبح الشناقطة كلهم مالكيين ، و في المالكية هم قاسميون ، لا يحيدون في الغالب عن رواية ابن القاسم عن مالك في المدونة ، كما أنهم خليليون يعتمدون ما رواه خليل بن إسحاق في مختصره [1] . و قد بذل الشناقطة جهودا معتبرة في خدمة الشريعة الإسلامية عموما و المذهب المالكي خصوصا بشتى الأساليب ، و تركوا لنا تراثا ضخما في مختلف العلوم ؛ ويمكننا تلخيص هذا الأمر فيما يلي :

أولا : التعامل مع الموجود من التراث المالكي : شرحا و نظما و استدراكا ؛ وعلى سبيل المثال ، فقد بلغت المؤلفات المتعلقة بمختصر خليل حوالى (60) شرحا أو نظما أو استدراكا، و أما الرسالة فلهم حولها حوالى (15) مؤلفا بين شرح و نظم ؛ كما أن مختصر الأخضري قد شرح (6) مرات [2] .

ثانيا : إنتاج جديد : فلم يكتف الشناقطة بالتعامل مع التراث المالكي الموجود فقط ، بل ساهموا هم كذلك بإنتاج جديد في المذهب المالكي ؛ فمما ألفوا في الفقه على سبيل المثال : منظومة " الفردوس " (12000) للشيخ إبراهيم بن أمانة الله اللمتوني (ت : 1380 هـ) ، و كتاب " موارد النجاح " ، و كتاب " مفيد العباد سواء العاكف فيه و الباد " للشيخ أحمد بن البشير الغلاوي (ت : 1277هـ) ؛ ومما ألفوا في الأصول : منظومة " مراقي السعود " وشرحها " نشر البنود " للشيخ عبد الله بن الشيخ إبراهيم العلوي(ت:1233هـ) ، و نظم

1- الطيب بن عمر بن الحسين الجكني ، محقق كتاب باب بن الشيخ سيدي إرشاد المقلدين : المرجع السابق ، ص ص 51 ، 52 .

2- لخضر بن قومار : " نظم المعتمد من الأقوال و الكتب في المذهب المالكي " للشيخ النابغة محمد الغلاوي . **رسالة ماجستير** ، قسم الشريعة ، جامعة الحاج لخضر بباتنة ، 2004- 2005 ، ص19 .

" الموافق " و شرحه " المرافق على الموافق " للشيخ ماء العينين (ت:1328هـ) ؛ و في النوازل على سبيل المثال : نوازل ابن الأعمش ونظمها للشيخ عبد الله بن الحاج حماه الله الغلاوي (ت :1209هـ) ؛ وممن ألفوا في القواعد : محنض بابه الديماني (ت:1277هـ) ، والشيخ محمد المامي الشمشوي (ت:1282 هـ) وغيرهما [1] .

ثالثا : الدفاع عن المذهب المالكي و العناية بالإستدلال و رد الفروع إلى الأصول : فقد اعتنى الشناقطة بتخريج الفروع على الأصول ، و بمناقشة الأدلة والمقارنة بين المذاهب و أقوال العلماء و الترجيح بينها ؛ و مما ألفوا في هذا الخصوص : إيضاح مختصر خليل بالمذاهب الأربعة و أصح الدليل للشيخ محمد الخضر بن مايابي الجكني (ت :1354 هـ، فتح الرحيم على أقوال الإمام مالك بالأدلة ، و" الفتح الرباني في شرح نظم رسالة ابن أبي زيد القيرواني " للداه الشنقيطي [2] .

1- لخضر بن قومار: المرجع السابق ، ص ص 19-21 .
2- المرجع نفسه ، ص21 .

ثالثا : دور بلاد شنقيط في حركة التأليف :

لقد اهتم الشناقطة بالتدوين و النسخ و التصنيف ، وكانوا في بداية أمرهم يكثرون من استنساخ الكتب ويقلون تصنيفها ، و يحذرون من التأليف ، فكانوا يقولون : " من ألف فقد استهدف" ، ولم يكن لمعظم العلماء وقت للتأليف لانشغالهم بالتدريس[1].

و بالرغم من ندرة الورق و غلائه من بين سلع التجارة الصحراوية ، فإن ذلك لم يمنع الشناقطة من النسخ و التأليف ؛ و تحتوي خزائن المخطوطات الأهلية أمهات الكتب في مختلف فروع المعرفة الإسلامية ، و التي تعود إلى عصور ازدهار الثقافة العربية ، فضلا عن عدد هام من الكتب المخطوطة لمؤلفين شناقطة و أجانب . و من أكثر الكتب نسخا :

***في الفقه** : رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، و مختصر كتاب خليل بن اسحاق بمختلف شراحه (الدرديري و الحطاب و غيرهما) .

***في الحديث:** موطأ الإمام مالك ، و صحيحي البخاري و مسلم ، و كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض .

* **في التوحيد** : إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة لأحمد المقري التلمساني .

* **في التصوف** :الحِكَم لابن عطاء الله .

* **في النحو** : ألفية بن مالك ، و لامية الأفعال ، و الآجرومية لابن آجروم الصنهاجي .

في حين مثلت جل المخطوطات الموريتانية المحلية المنشأ شروحا و تلخيصات لأمهات الكتب المتداولة لديهم ، و المدروسة في المحاضر[2].

1- الخليل النحوي : المرجع السابق ، ص ص 234 ، 235 .
2- أحمد مولود ولد أيده :**ملامح من التراث الموريتاني المخطوط** . المرجع السابق ، ص4 .

و تعد المساجلات بين الفقهاء في البلاد أبرز محرك للتأليف المحلي ، و هو ما يبرز من ردود الفقهاء على بعضهم البعض و تعقيبهم على بعض الأحكام و النوازل ؛ كما برزت "الرسائل" ، التي هي صنف آخر من التأليف ، و هي عبارة عن مؤلفات صغيرة تتناول جزئيات و مواضيع خاصة في الفقه و اللغة والنوازل وغيرها، ثم ظهرت بعد الرسائل طريقة المختصرات خلال القرن الرابع عشر الهجري ، و هدفها هو تبسيط المعارف لدينية ، وقد استحدثت هذه الطريقة من طرف الفقيه محمد يحيى بن سليمة (ت: 1330هـ/1912م) عندما اختصر مجموعة من الكتب منها : اختصار الوسنان في العمل بالحديث و القرآن للسنوسي ، و بداية المجتهد لابن رشد (الحفيد) و غيرهما [1].

كما كان للنوازل اهتمام من طرف عدد من فقهاء البلاد ؛ و قد بدأت المؤلفات المحلية في الفقه تظهر في القرن 12هـ/17ممع نوازل محمد بن المختار بن الأعمش(ت:1107هـ/1695م) وغيره ، ثم تواصلت مع آخرين ، كنوازل البشير بن الحاج الهادي (ت: 1197هـ /1783م) و نوازل سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت 1233هـ/1818م) ونوازل القصري بن محمد المختار (ت: 1235هـ/1820م) و نوازل حمى الله التيشيتي (ت: 1284هـ/1867م) و غيرهم [2].

و قد برز العديد من العلماء الشناقطة و تركوا لنا رصيدا هائلا من المؤلفات يصعب حصرها، و ذلك في مختلف فنون المعرفة ، و سنقتصر في هذة الدراسة على ذكر البعض من هؤلاء العلماء و مؤلفاتهم :

1- أحمد مولود ولد أيده :**ملامح من التراث الموريتاني المخطوط** ، ص ص 4 ، 5 .
2- المرجع نفسه ، ص5 .

ففي **علم الفرائض** نذكر على سبيل المثال : الحاج أحمد بن اند عبد الله المحجوبي (ت: 1140هـ) (نظم فرائض خليل) ، و الشيخ سيديا الكبير (ت : 1285هـ) (شرح فرائض خليل) ، و الشيخ الهيبة بن الشيخ ماء العينين (رسالة)[1].

***. في أصول الفقه :**

سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي التجكحي (ت: 1233هـ) (مراقي السعود – منظومة)، و سيد أحمد بن محمد شيخنا بن الطاهر التنواجيوي (نجم الوقود) ، سيد عبد الله بن رازكة العلوي (ت: 1144هـ) (السيدية –منظومة) ، و محمد المختار بن أحمد فال العلوي(ت: 1341هـ) (مقدمة في علم الأصول)، و الشيخ ماء العينين القلقمي(ت 1328هـ) (نظم الأنفس و شرحه الأقبس) و له : نظم المواقف في الأصول و شرحه المرافق على المواقف[2].

*** في العقائد الدينية :**

الطالب أحمد بن محمد رارة التنواجيوي (ت: 1210 هـ) (شرح متن " أم البراهين " للسنوسي (صغرى الصغرى) ، ومحمد المختار بن الأعمش (ت:1107هـ) (شرح " إضاءة الدجنة في عقيدة أهل السنة " للمقري) ، و محمد اليدالي الديماني (ت1166:هـ) (فرائد الفوائد في التوحيد) ، و الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت:1226هـ) (الشموس المحمدية)[3].

1- المختار بن حامد : **"الحياة الثقافية"** . المرجع السابق ، ص19 .
2- المرجع نفسه ، ص ص 25 ، 26 .
3- المرجع نفسه ، ص ص ، 28- 30 .

*** في التصوف:**

من الناظمين في التصوف : أحمد بن محمد الحاجي (ت : 1252 هـ) و لهمنظومة في أصول طريق التصوف، و الشيخ محمد فاضل القلقمي (ت:1286هـ)(مطية المجد)[1].

و من الناثرين الشيخ سيدي المختار الكنتي (جذوة الأنوار في الذب عن أولياء الله الأخيار) و له : (الجرعة الصافية و النصيحة الكافية) ، و(الكوكب الوقاد في فضل المشائخ والأوراد) ، و الشيخ سيديا الكبير (ت :1285هـ) (الفرق السديد و التتميم المفيد، و أجوبة كثيرة في التصوف) ، و الشيخ ماء العينين القلقمي (منتخب المتصوف و شرحه مبصر المتشوف) ، وله أيضا : نعت البدايات ، إظهار الطريق وغيرها ، و الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الكنتي (جواب أسئلة الأمير بن لبو الفلاني) ، و(فتح القدوس في جواب الكنسوس المراكشي ردا على كتابه الجواب المسكت) [2].

***في القرآن الكريم :**

محمد اليدالي الديماني (ت: 1166 هـ) (مورد الظمآن في محذوف القرآن – منظومة) و(الذهب الإبريز في تفسير كتاب الله العزيز) ، و محمد بن أباتي التندغي (ت: 1363) وله : (الفرش فيما تخالف فيه حفص و ورش)، و أحمد بن محمد الحاجي (ت : 1251) (تحفة الوليد في أحكام التجويد) ، و محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي (ت : 1323 هـ) (بصائر التالين في تجويد القرآن) وغيرهم [3].

1- المختار بن حامد : المرجع السابق ، ص 34 .
2- المرجع نفسه ، ص ص 35 ، 36 .
3- المرجع نفسه ، ص ص 36 - 42 .

***في الحديث :**

عبد الله بن الحاج حماه الله الغلاوي (ت:1209 هـ) و له تعليق على صحيح البخاري ، و الشيخ محمد الحاغظ العلوي (ت : 1245 هـ) و له تعليق على ألفية السيوطي في مصطلح الحديث ، و محمد فال بن متالي التندغي (ت : 1287 هـ) الذي شرح الأربعين حديثا النووية ، و البراء بن بكى الديماني (ت : 1336 هـ) و له نظم في وفود العرب على رسول الله صلى الله عليه و سلم [1].

***في اللغة :**

أبو بكر بن محنض بن هايت الديماني (ق 13 هـ) (دواء السكتة) ، و الشيخ سيدي المختار الكنتي (فتح الودود) ، و محمد بن أبي مدين الديماني (ت : 1377) و(تسهيل الورود) ، و سيدي محمد بن حبت الغلاوي (ت : 1288) (المهم من العروض و القوافي) وغيرهم من المؤلفين [2].

***في المنطق :**

محنض بابه الديماني (ت : 1277 هـ) له (نظم نسب الموجهات) ، و المختار بن بونة الجكني (ت : 1220 هـ) له (تحفة المحقق) ، و محمد فال بن محمد بن أحمد بن العاقل الديماني (ت : 1334 هـ) له (أهبة المنتطق) [3].

كما ألف الشناقطة كذلك في علم الحساب العددي ، و علم الفلك ، و علم الجغرافيا ، والطب وغيرها ، و تركوا عددا من المؤلفات فيها [4].

1- المختار بن حامد : المرجع السابق ، ص ص 48 ، 52 .
2- المرجع نفسه ، ص ص 59 - 72 .
3- المرجع نفسه ، ص ص 74 ، 75 .
4- المرجع نفسه ، ص ص 75 - 84 .

ومما سبق يتضح أن الشناقطة أسهموا بشكل كبير في التأليف ، فقاموا بنسخ و شرح و تلخيص الكثير من مؤلفات غيرهم ، كما ساهموا من جهتهم بمؤلفات محلية خالصة ، وتركوا لنا رصيدا هاما من المؤلفات شملت مختلف فنون المعرفة آنذاك .

خاتمة

لقد بينت لنا دراستنا هذه جملة من النتائج نلخصها في النقاط التالية :

- أن بلاد شنقيط هي التسمية التي أطلقها المشارقة على ذلك الجزء من غرب الصحراء ، نتيجة للمكانة التي كانت تحظى بها مدينتها شنقيط في النشاط الديني و الثقافي انطلاقا من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، تاريخ بداية ازدهارها ، و الذي سيبلغ أوجه مع القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

- سمح موقع بلاد شنقيط في ذلك الجزء من الصحراء لأن تكون ممر العبور الوحيد بين الشمال الإفريقي و إفريقيا جنوب الصحراء ، و مثلت ملتقى القوافل التجارية القادمة إليها من بلاد المغرب أو بلاد السودان الغربي ؛ وبفضل النشاط التجاري الذي كانت تعرفه المنطقة ، ظهرت مدن صحراوية عرفت بازدهارها التجاري و الثقافي كولاتة و وادان وتيشيت و شنقيط .

- أن بلاد وصلها الإسلام منذ القرون الهجرية الأولى عن طريق الفاتحين الأوائل الذين أشعروا سكان البلابأهمية هذا الدين الجديد ، ثم أخذ ينتقل إليها سلميا عن طريق تجار ودعاة المغرب القادمين من الشمال الإفريقي ، لاسيما الرستميين ؛ وكانت الدعوة المرابطية نقطة تحول كبيرة في مستقبل الإسلام بالمنطقة ، حيث عمل رجالاتها على تصحيح ما فسد من العقيدة لدى السكان ، وتعميقما كان سطحيا من مفاهيم؛ ثم جاءت الطرق الصوفية إلى المنطقة فعملت على تعميم هذا الدين على المستوى الشعبي .

- أن بلاد شنقيط لم تكتف باعتناق الإسلام و بذل الجهود من أجل نشره و تعميقه في البلاد وحسب ، بل عملت على توسيع رقعته بكامل الصحراء الكبرى ، وتعدته بذلك إلى مناطق إفريقيا الغربية خاصة مع فترة الطرق الصوفية .

- لقد كان لزحف القبائل الحسانية نحو البلاد دور كبير في نشر اللغة العربية بالمنطقة ، وأصبحت في ظرف وجيز هي اللغة السائدة في البلاد ، و اختفت بذلك اللهجات المحلية التي كانت سائدة بالمنطقة منذ القديم ؛ كما كان للمحاضر الصحراوية أيضا الدور في نشر اللغة العربية بالبلاد و المناطق المجاورة .

- أن نظام المحاضر كان نموذجا للتعليم العربي الأصيل في أرض شنقيط ، و اعتبر رباط عبد الله بن ياسين أول محضرة فيها ؛ و قد نشأت هذه المحاضر أولا في حواضر البلاد ثم احتضنتها البادية وفيها نمت و عرفت ازدهارها ، و سيكون لشيوخ تلك المحاضردور كبير في حمل الثقافة العربية الإسلامية إلى شعوب الصحراء الكبرى و غرب إفريقيا .

- كان لوفود الطرق الصوفيةإلى بلاد شنقيط (الشاذلية ، القادرية ، التيجانية) أن احتضنها الشناقطة أشد الإحتضان، وساهمت هي من جانبها في استقطاب الكثيرين منهم ، فبرز العديد من الشيوخ الذين أخذوا على عاتقهم مهمة نشر تلك الطرق بالبلاد ؛ بل و ساهمت بلاد شنقيط في ظهور طرق صوفية أخرى تعد فروعا لتلك الطرق الوافدة كالبكائية والفاضلية و الحموية و الحافظية وغيرها ؛ و كان لهذه الطرق حضور قوي بمنطقة غرب إفريقيا خاصة ، و أصبحت تطبع إسلامها .

- شهدت بلاد شنقيط حركة تأليف كبيرة ، خاصة ما بين القرنين الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي و الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، و برز من خلالها عدد هائل من المؤلفين ساهموا برصيد وافر من المؤلفات ، شملت مختلف فنون المعرفة آنذاك، و أضيفت إلى مؤلفات من سبقوهم من شتى الأقطار العربية الإسلامية بالمغرب والمشرق الإسلاميين ، و قدمت بذلك خدمة جليلة للثقافة العربية الإسلامية .

الملاحق

الملحق رقم 01 : خريطة تقريبية لبلاد شنقيط

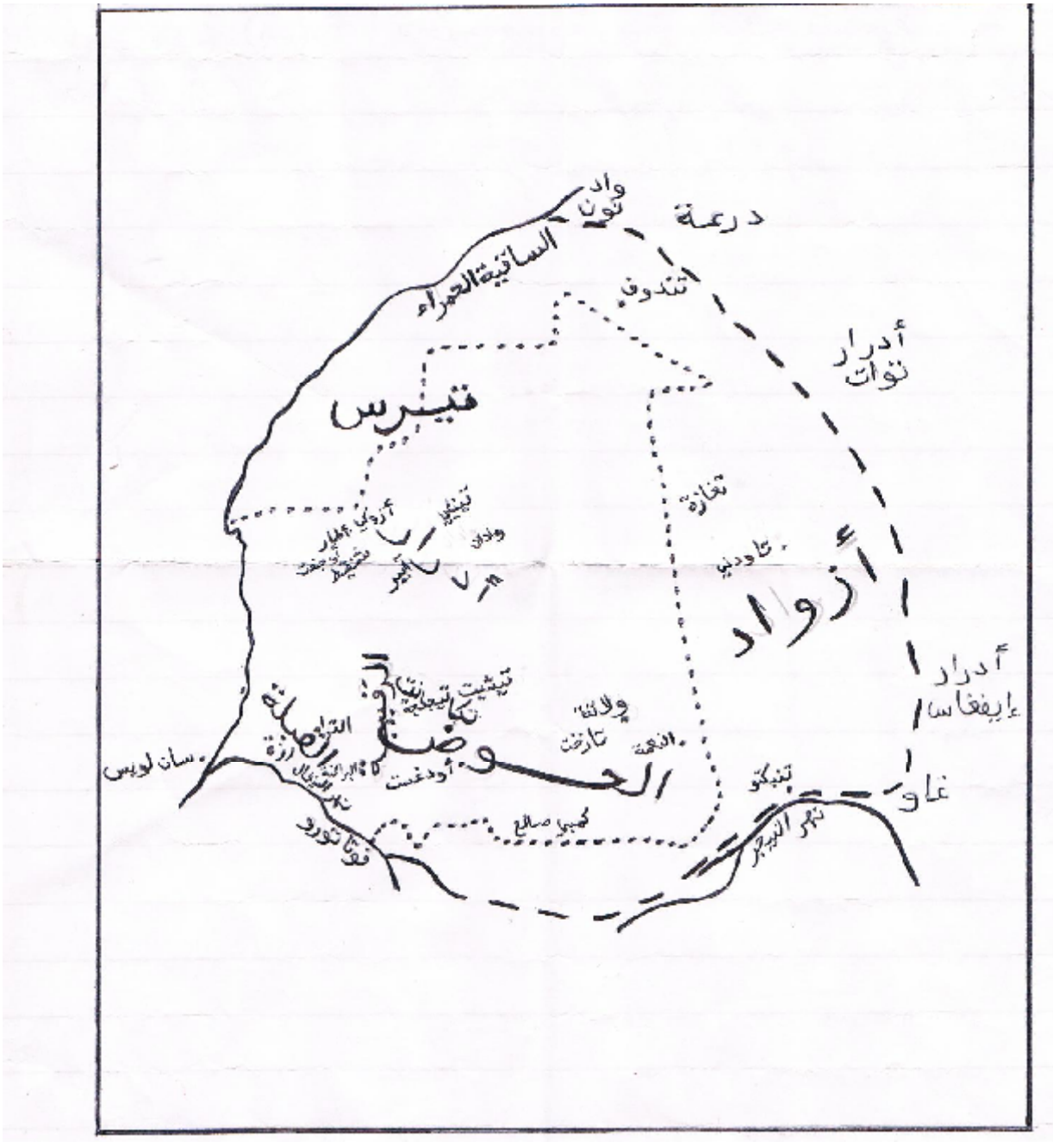

- - - - - - - الحدود التقريبية لبلاد شنقيط

. . . . . الحدود الحالية لموريتانيا

المرجع : عبد الودود ولد عبد الله (ددو) : المرجع السابق ، ص 41 (بتصرف) .

القائمة

البيبليوغرافية

أولا : المصادر:

1)- ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله : **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس** . دار الطباعة المدرسية بمدينة اوبسالة، 1843 م.

2)-ابن الأثيرأبي الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الله الواحد الشيباني : **الكامل في التاريخ.** تحقيق : القاضي أبي الفداء عبد الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1407ه / 1987 م ، ط1 ، مج3 .

3)- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي : **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** . المطبعة الخيرية بمصر ، 1322 ه ، ط1 .

4)- ابن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الخطيب : **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام و مايتعلق بذلك من الكلام** . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج2 ، د.ت .

5)- ابن خلدون عبد الرحمن :

ـ كتاب العبر و**ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** . مراجعة : زكار سهيل ، دار الفكر ، بيروت ، 1421 ه / 2000م ، ج4 و ج6 .

ـ **مقدمة ابن خلدون** . دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2010 ، ط1 .

6)- السعدي عبد الرحمن : **تاريخ السودان** . وقف على طبعه السيد هوداس ، باريس ، 1981 .

7) ـ ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله القرشي : **فتوح إفريقيا و الأندلس.** تحقيق و تقديم : الطباع عبد الله أنيس ، مكتبة المدرسة و دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1964 .

8) ـ ابن عذارى المراكشي : **البيان المغرب في أخبار المغرب** . تصحيح و طبع : دوزي رينارت ، طبع في مدينة ليدن المحروسة ، 1848 م .

9) ـ البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز : **المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك** . مكتبة المثنى ببغداد ، د.ت .

10)- البرتلي أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر **: فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور** . تحقيق : الكتاني محمد إبراهيم و حجي محمد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1401 ه / 1981 م .

11)- الشنقيطي أحمد بن الأمين : **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط** . المطبعة الجمالية بمصر، 1329 ، ط1 .

12)- الشنقيطي باب بن الشيخ سيدي : **إرشاد المقلدين عند اختلاف المجتهدين** . دراسة و تحقيق : الجكني الطيب بن عمر بن الحسين ، دار ابن حزم ، بيروت ، 1418 ه /1997 م، ط1 .

13)- كمرا موسى : **تاريخ قبائل البيضان (عرب الصحراء الكبرى)** . تحقيق : ولد السالم حماه الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2009 ، ط1 .

14)- القاضي عياض أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي : **ترتيب المدارك و تقريب المسالك** . وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1403 ه / 1983 م ، ط2 .

15)- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد : **رياض النفوس (في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم)** . تحقيق : البكوش بشير ، مراجعة : العروسي المطوي محمد، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1: 1403 ه / 1983 م ، ط2 : 1414 ه / 1994 م ، ج1 .

16)-مؤلف مجهول **: ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية** ، تحقيق : زكار سهيل و زمامة عبد القادر ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1399 ه / 1979 م ، ط1 .

ثانيا : المراجع :

1/- المراجع العربية :

1)- أحمد محمود حسن : **قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)** . دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت .

2)- سعيد القشاط محمد : **أعلام من الصحراء** . دار الملتقى ، بيروت ، 1997 ، ط1.

3)- السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى.** تحقيق و تعليق : الناصري جعفر و الناصري محمد ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 م ، ج2 .

4)- شعباني نور الدين : **محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي** ، دار الجزائر ، الجزائر ، 2015 .

5)- الصلابي علي محمد : **فقه التمكين عند دولة المرابطين** . مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع و الترجمة ، القاهرة ، 2006 ، ط1 .

6)- الصالح حوتية محمد **: توات و الأزواد خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر للهجرة (الثامن عشر و التاسع عشر ميلادي)** . دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007 ، ج1 .

7)- عبد اللطيف دندش عصمت **: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، (430 – 515 ه / 1038 – 1121) م** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1408 ه / 1988 م ، ط1 .

8)- عنتر محمد أحمد مرجان سحر : **فقهاء المالكية و آثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي و صنغي (628- 1000 ه / 1230 – 1591 م)** ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1432 ه / 2011 م ، ط1 .

9)- المختار بن حامد :

ـــ **حياة موريتانيا " الحياة الثقافية"** ، الدار العربية للكتاب ، د.ت ، د.ط .

ـــ **حياة موريتانيا " الجغرافيا"** . دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1414 ه/ 1914م.

10)- النحوي الخليل : **بلاد شنقيط المنارة و الرباط** . المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس ، 1987 .

11)- ولد أباه محمد المختار **: الشعر و الشعراء في موريتانيا** . دار الأمان ، الرباط ، 1424 ه / 2003 م ، ط2 .

12)- ولد أيده أحمد مولود **: الصحراء الكبرى مدن و قصور** . دار المعرفة ، الجزائر ، 2009 ، ج1 .

13)- ولد بن احميدة عبد الله : **الشعر العربي الفصيح في بلاد شنقيط (مبحث في النشأة والأصول)** . تقديم : ولد حبيب الله أحمد ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ،1377 ه/ 2009م.

14)- ولد الحسين الناني : **صحراء الملثمين و علاقاتها بشمال و غرب إفريقيا من منتصف القرن 2 ه / 8 م إلى نهاية القرن 5 ه / 11 م** . تقديم : حجي محمد ، 1412 ه / 2000 م .

15)- ولد السالم حماه الله : **تاريخ بلاد شنكيطي "موريتانيا" (من العصور القديمة إلى حرب شربية الكبرى بين أولاد الناصر و دولة إبدوكل اللمتونية)** . دار الكتب اللبنانية ، بيروت ، 2010 ، ط1 .

16)- ولد عبد الله عبد الودود(ددو) **: الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن الثاني عشر (18 م)** . دار أبي رقراق ، الرباط ، 2015 .

2/- المراجع الأجنبية :

1)-HAMET Ismael : Chroniques de La Mauritanie Sénégalaise (Nacer Eddine) . Ernest Leroux,Editeur , Paris , 1911 .

2)- Le Chatelier (A.) : **l'Islam dans l'Afrique occidentale** . G.Steinheil , Editeur , Paris , 1899 .

3)- Mauny Raymond : **Tableau Géographique de l'Ouest africain au Moyen Age** . Ifan , Dakar , 1961 .

4)- Marty Paul :

- **L'Emirat des Trarzas** . Editions Ernest Leroux , Paris , 1919 .

- **Etudes sur l'Islam et les tribus maures (les Brakna)** . Editions Ernest Leroux , Paris , 1921 .

- **Etudes sur l'islam maure (Cheikh Sidia – les Fadelia – les Ida Ou Ali)** . Ernest Leroux Editeur , Paris , 1916 .

5)- RICHET Etienne : **La Mauritanie** . Emile Larose Librairie Editeur , Paris , 1920 .

ثالثا : المقالات و الدوريات :

1)- الظريف محمد : "جوانب من إسهام الرحالة الشناقطة في تثبيت التواصل الثقافي بين المشرق و المغرب" . **أبحاث ندوة الرحالة العرب و المسلمين** إكتشاف الذات و الآخر ، دورة الجزائر ، 2005 .

2)- ولد أيده أحمد مولود : "ملامح من التراث الموريتاني المخطوط" (مقال غير منشور) .

رابعا : الرسائل الجامعية :

1)- بن قومار لخضر : "نظم المعتمد من الأقوال و الكتب في المذهب المالكي (للشيخ محمد النابغة الغلاوي الشنقيطي)" . **مذكرة ماجستير** ، قسم الشريعة ، جامعة الحاج لخضر بباتنة، 2004- 2005 .

2)- الجكني الطيب بن عمر بن الحسين : " السلفية و أعلامها في موريتانيا " . **رسالة ماجستير** ، كلية الدعوة و أصول الدين ، فرع العقيدة ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، د.ت .

3)- شعباني نور الدين : "علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي و آثارها الحضارية بين القرنين الرابع و التاسع الهجريين / 10 و 15 م " . **رسالة ماجستير** ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2005- 2006 م .

خامسا : القواميس :

1)- الزركلي خير الدين : **الأعلام** . دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002 ، ط15 ، ج2 .

سادسا : المواقع الإلكترونية :

2)- أحمد بمبا : "خريطة الطرق الصوفية في غرب إفريقيا " ، موقع أون إسلام ، 2010/02/08 .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة 01

الفصل الأول : التعريف ببلاد شنقيط.....06

1- بلاد شنقيط و الأسماء التي عرفت بها 06

2- الخصائص الطبيعية لبلاد شنقيط 12

3- الخصائص البشرية لبلاد شنقيط.....18

الفصل الثاني : إنتشار الإسلام و اللغة العربية في بلاد شنقيط 25

1-إنتشار الإسلام في بلاد شنقيط.....25

2- إنتشار اللغة العربية في بلاد شنقيط.....37

الفصل الثالث :

1- المحاضر : تعريفها و نشأتها 44

2- نظام التدريس في المحاضر.....49

3- منهاج الدراسة في المحاضر.....51

الفصل الرابع : دور بلاد شنقيط في نشر الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا

1- دورها في نشر الإسلام في غرب إفريقيا.....56

2- دورها في المذهب المالكي.....65

3- دورها في حركة التأليف.....70

خاتمة.....77

الملاحق.....80

القائمة البيبليوغرافية.....82

فهرس المحتويات.....89